المختار الإسلامى

مجلة كل المسلمين

العدد ٣٠٣ - السنة ٢٩ - غرة ذوالقعدة ١٤٢٨ هـ - ١١ نوفمبر ٢٠٠٧ الثمن ثلاثة جنيهات

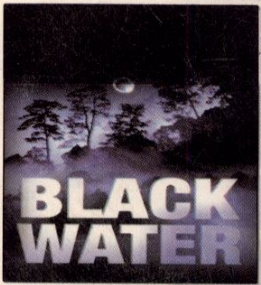

المياه السوداء فى الخليج

الآن حصص الحق...
إنهم يريدون تقسيم العراق

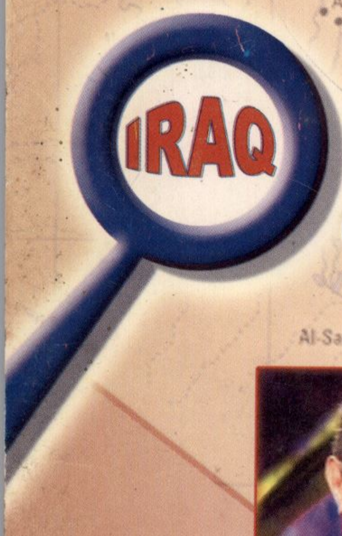

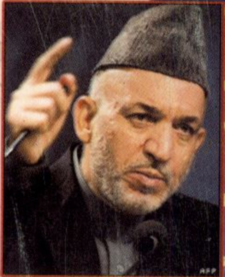

كارزاى يهدد الأمريكيين

مسلسل الدالى.. وتشويه الرجال !!

مع الباعة والمكتبات ودور النشر

خصم ٢٠٪ لقراء المختار الإسلامى وللجملة سعر خاص

اسم الكتاب	اسم المؤلف	السعر
مكتبة أحمد ديدات (٨ أجزاء)	أحمد ديدات	١٥,٠٠
كلمتنا فى الرد على أولاد حارتنا	عبد الحميد كشك	٢٠,٠٠
قصة أيامى - مذكرات الشيخ كشك	عبد الحميد كشك	١٥,٠٠
فتاوى الشيخ كشك (جـ١ إلى جـ٨)	عبد الحميد كشك	١٥,٠٠
الظل الأسود	د. نجيب الكيلانى	٥,٠٠
حارة اليهود	د. نجيب الكيلانى	٥,٠٠
عذراء چاكرتا	د. نجيب الكيلانى	٥,٠٠
ليالى تركستان	د. نجيب الكيلانى	٥,٠٠
عمالقة الشمال	د. نجيب الكيلانى	٥,٠٠
رحلة إلى الله	د. نجيب الكيلانى	٨,٠٠
نور الله - الجزء الأول	د. نجيب الكيلانى	٨,٠٠
نور الله - الجزء الثانى	د. نجيب الكيلانى	٨,٠٠
على أبواب خيبر	د. نجيب الكيلانى	٥,٠٠
سراييڤو حبيبتى	د. نجيب الكيلانى	٢,٠٠
أميرة الجبل	د. نجيب الكيلانى	٥,٠٠
نهاية طاغية	د. نجيب الكيلانى	٢,٠٠
الرايات السوداء	د. نجيب الكيلانى	٦,٠٠
رمضان حبيبى	د. نجيب الكيلانى	٥,٠٠
مذكرات د. نجيب الكيلانى جـ١	د. نجيب الكيلانى	١٥,٠٠
مذكرات د. نجيب الكيلانى جـ٢	د. نجيب الكيلانى	١٥,٠٠

ومقرنا : ٣ حارة الجمل - السيدة زينب - تليفون وفاكس ٢٣٩٢٢١٥١

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم

الآن .. حصحص الحق
إنهم يريدون تقسيم العراق

وفى النهاية فإن اللص يعترف، وبعد أن راوغت أمريكا طويلا حول ادعاءات وحجج من نوع أسلحة الدمار الشامل العراقية، أو إنهاء الديكتاتورية كتبرير لغزو العراق، وبعد تساقط تلك الحجج فإن اللص اعترف بأن الهدف هو تقسيم العراق، وفى الحقيقة ليس تقسيم العراق وحده بل تقسيم المنطقة كلها، وفى دراسة أمريكية منشورة بعنوان "حدود الدم" تحدث الباحث - وهو شخصية استراتيجية على علاقة بالبنتاجون - عن ضرورة إعادة تشكيل المنطقة، تقسيم العراق وإيران وسوريا والسعودية ولبنان ومصر.. إلخ، وأن هذا هو الشرق الأوسط الجديد كما تريده أمريكا، وقد يبدو للوهلة الأولى أن اللجوء إلى خيار تقسيم العراق هو نوع من الإحساس الأمريكى بالفشل أمام المقاومة العراقية، ومن ثم الهروب من العراق عن طريق تقسيمه إلى ثلاث وحدات طائفية، كردية وشيعية وسنية، وهذا صحيح جزئيا، ولكن الأكثر صحة أن التقسيم كان هدفا أمريكيا ثانيا، سواء كانت أمريكا قد حققت نجاحا أم فشلاً !!

ولابد هنا أن نشير إلى قرار مجلس الشيوخ الأمريكى الذى يدعو إلى تقسيم العراق، والذى صدر مؤخرا والذى ينص على تحويل العراق إلى ثلاثة كيانات مستقلة فى وجود حكومة فيدرالية مقرها بغداد تتولى مسئولية أمن الحدود وتقسيم عائدات البترول، لابد من النظر إلى هذا القرار على أنه رأى أمريكا النهائى، وليس رأى الجمهوريين مثلاً أو الديمقراطيين، فالقرار حصل على أغلبية من مجلس الشيوخ هى ٧٥ ضد ٢٣ صوتا ؛ أى أن الجمهوريين والديمقراطيين معاً وافقوا عليه، وهذا يعنى أن التقسيم هدف أمريكى كامل، بل الأكثر دلالة هنا، أن هذا القرار - غير الملزم - هو نوع من تمهيد الأرض لتحقيقه حين يصل رئيس ديمقراطى إلى البيت الأبيض مع بداية عام ٢٠٠٩، وعلى الجميع أن يستعد إلى تحويل هذا القرار غير الملزم إلى سياسة ديمقراطية ثابتة وملزمة حين يمسك الديمقراطيون بتلابيب السلطة فى واشنطن، أى أنه خيار صعب جدا، ويستحق الاهتمام من الآن بالنسبة للعراقيين جميعا، وبالنسبة إلى كل دول المنطقة.

حسين عاشور

الله يعلم ما تحمل كل أنثى

﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى، وما تغيض الأرحام وما تزداد، وكل شيء عنده بمقدار .. عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال .. سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ، ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار .. له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله .. إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له ، وما لهم من دونه من وال﴾ .

ويقف الحس مشدوها يرتعش تحت وقع هذه اللمسات العميقة فى التصوير ، وتحت إيقاع هذه الموسيقى العجيبة فى التعبير .. يقف مشدوها وهو يقفو مسارب علم الله ومواقعه ؛ وهو يتتبع الحمل المكنون فى الأرحام ، والسر

المكنون في الصدور ، والحركة الخفية في جنح الليل ؛ وكل مستخف وكل سارب وكل هامس وكل جاهر .. وكل أولئك مكشوف تحت المجهر الكاشف ، يتتبعه شعاع من علم الله ، وتتعقبه حفظة تحصي خواطره ونواياه .. ألا إنها الرهبة الخاشعة التي لا تملك النفس معها إلا أن تلجأ إلى الله ، تطمئن في حماه .. وإن المؤمن بالله ليعلم أن علم الله يشمل كل شيء .. ولكن وقع هذه القضية الكلية في الحس ، لا يقاس إلى وقع مفرداتها كما يعرض السياق بعضها في هذا التصوير العجيب .

وأين أية قضية تجريدية ، وأية حقيقة كلية في هذا المجال من قوله :

﴿ الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد .. وكل شيء عنده بمقدار ﴾

حين يذهب الخيال يتتبع كل أنثى في هذا الكون .. المترامي الأطراف .. كل أنثى .. كل أنثى في الوبر والمدر ، في البدو والحضر ، في البيوت والكهوف والمسارب والغابات .. ويتصور علم الله مطلا على كل حمل في أرحام هذه الإناث ، وعلى كل قطرة من دم تغيض أو تزداد في تلك الأرحام !

وأين أية قضية تجريدية وأية حقيقة كلية في هذا المجال من قوله :

﴿سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ، ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار .. له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ﴾ ؟

حين يذهب الخيال يتتبع كل هامس وكل جاهر ، وكل مستخف وكل سارب في هذا الكون الهائل .. ويتصور علم الله يتعقب كل فرد من بين يديه ومن خلفه ، ويقيد عليه كل شاردة وكل واردة آناء الليل وأطراف النهار !

إن اللمسات الأولى في آفاق الكون الهائل ليست بأضخم ولا أعمق من هذه اللمسات الأخيرة في أغوار النفس والغيب ومجاهيل السرائر .. وإن هذه لكفء لتلك في مجال التقابل والتناظر ..

ونستعرض شيئا من بدائع التعبير والتصوير في تلك الآيات :

﴿ الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد .. وكل شيء عنده بمقدار ﴾ .. فلما أن صور العلم بالغيض والزيادة في مكنونات الأرحام ، عقب بأن كل شيء عنده بمقدار .. والتناسق واضح بين كلمة مقدار وبين النقص والزيادة .. والقضية كلها ذات علاقة بإعادة الخلق فيما سبق من ناحية الموضوع .. كما أنها من ناحية الشكل والصورة ذات علاقة بما سيأتي بعدها من الماء الذى تسيل به الأودية "بقدرها" في السيولة والتقدير .. كما أن في الغيض والزيادة تلك المقابلة المعهودة في جو السورة على الإطلاق .

﴿عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال﴾ .

ولفظة (الكبير) ولفظة (المتعال) كلتاهما تلقى ظلها في الحس .. ولكن يصعب تصوير ذلك الظل بألفاظ أخرى .إنه ما من خلق حادث إلا وفيه نقص يصغره .. وما يقال عن خلق من خلق الله كبير ، أو أمر من الأمور كبير ، أو عمل من الأعمال كبير ، حتى يتضاءل بمجرد أن يذكر الله . .وكذلك (المتعال) .. تراني قلت شيئا ؟ لا .. ولا أي مفسر آخر للقرآن وقف أمام (الكبير المتعال) !

﴿سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ،

ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار ﴾ .. والتقابل واضح فى العبارة . إنما تستوقفنا كلمة (سارب) وهى تكاد بظلها تعطى عكس معناها ، فظلها ظل خفاء أو قريب من الخفاء . والسارب: الذاهب .. فالحركة فيها هى المقصودة فى مقابل الاستخفاء .. هذه النعومة فى جرس اللفظ وظله مقصودة هنا كى لا تخدش الجو .. جو العلم الخفى اللطيف الذاهب وراء الحمل المكنون والسر الخافى والمستخفى بالليل والمعقبات التى لا تراها الأنظار .. فاختار اللفظ الذى يؤدى معنى التقابل مع المستخفى ولكن فى لين ولطف وشبه خفاء!

﴿ له معقبات من بين يديه ومن خلفه - يحفظونه - من أمر الله ﴾ ..

والحفظة التى تتعقب كل إنسان ، وتحفظ كل شاردة وكل واردة وكل خاطرة وكل خالجة ، والتى هى من أمر الله ، لا يتعرض لها السياق هنا بوصف ولا تعريف . أكثر من أنه .. (من أمر الله) .. فلا نتعرض نحن لها : ما هى ؟ وما صفاتها ؟ وكيف تتعقب ؟ وأين تكون ؟ ولا نذهب بجو الخفاء والرهبة والتعقب الذى يسبغه السياق .. فذلك هو المقصود هنا ؛ وقد جاء التعبير بقدره ؛ ولم يجىء هكذا جزافا ؛ وكل من له ذوق بأجواء التعبير يشفق من أن يشوه هذا الجو الغامض بالكشف والتفصيل !

﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ ..

فهو يتعقبهم بالحفظة من أمره لمراقبة ما يحدثونه من تغيير بأنفسهم وأحوالهم فيرتب عليه الله تصرفه بهم .. فإنه لا يغير نعمة أو بؤسى ، ولا يغير عزا أو ذلة ، ولا يغير مكانة أو مهانة .. إلا أن يغير الناس من مشاعرهم وأعمالهم وواقع حياتهم ، فيغير الله ما بهم وفق ما صارت إليه نفوسهم وأعمالهم .. وإن كان الله يعلم ما سيكون منهم قبل أن يكون .. ولكن ما يقع عليهم يترتب على ما يكون منهم ، ويجىء لاحقا له فى الزمان بالقياس إليهم .

وإنها لحقيقة تلقى على البشر تبعة ثقيلة ؛ فقد قضت مشيئة الله وجرت بها سنته ، أن تترتب مشيئة الله بالبشر على تصرف هؤلاء البشر ؛ وأن تنفذ فيهم سنته بناء على تعرضهم لهذه السنة بسلوكهم . والنص صريح فى هذا لا يحتمل التأويل . وهو يحمل كذلك - إلى جانب التبعة - دليل التكريم لهذا المخلوق الذى اقتضت مشيئة الله ، أن يكون هو بعمله أداة التنفيذ لمشيئة الله فيه .

وبعد تقرير المبدأ يبرز السياق حالة تغيير الله ما بقوم إلى السوء ؛ لأنهم - حسب المفهوم من الآية - غيروا ما بأنفسهم إلى أسوأ فأراد لهم الله السوء :

﴿ وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال ﴾ ..

يبرز السياق هذا الجانب هنا دون الجانب الآخر لأنه فى معرض الذين يستعجلون بالسيئة قبل الحسنة .. وقد قدم لهم هناك المغفرة على العذاب ليبرز غفلتهم ، وهو هنا يبرز العاقبة السوأى وحدها لإنذارهم حيث لا يرد عذاب الله عنهم - إذا استحقوه بما فى أنفسهم - ولا يعصمهم منه وال يناصرهم ..

ثم يأخذ السياق فى جولة جديدة فى واد آخر ، موصول بذلك الوادى الذى كنا فيه .. واد تجتمع فيه مناظر الطبيعة ومشاعر النفس

متداخلة متناسقة فى الصورة والظل والإيقاع وتخيم عليه الرهبة والضراعة والجهد والإشفاق .. وتظل النفس فيـه فى ترقب وحذر ، وفى تأثر وانفعال :

﴿هو الذى يريكم البرق .. خوفا وطمعا .. وينشىء السحاب الثقال .. ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته .. ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء ، وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال .. له دعوة الحق ، والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشىء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه ، وما هو ببالغه ، وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال .. ولله يسجد من فى السماوات والأرض طوعا وكرها ، وظلالهم ، بالغدو والآصال .. قل : من رب السماوات والأرض ؟ قل : الله .. قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ؟ قل : هل يستوى الأعمى والبصير .. أم هل تستوى الظلمات والنور ؟ أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم ؟ قل : الله خالق كل شىء وهو الواحد القهار﴾ ..

والبرق والرعد والسحاب مشاهد معروفة ، وكذلك الصواعق التى تصاحبها فى بعض الأحيان .. وهى بذاتها مشاهد ذات أثر فى النفس - سواء عند الذين يعرفون الكثير عن طبيعتها والذين لا يعرفون عن الله شيئا ! والسياق يحشدها هنا ؛ ويضيف إليها الملائكة والظلال والتسبيح والسجود والخوف والطمع ، والدعاء الحق والدعاء الذى لا يستجاب . ويضم إليها هيئة أخرى:هيئة ملهوف يتطلب الماء ، باسطا كفيه ليبلغه ، فاتحا فاه يتلقف منه قطرة ..

هذه كلها لا تتجمع فى النص اتفاقا أو جزافا .. إنما تتجمع لتلقى كلها ظلالها على المشهد ، وتلفه فى جو من الرهبة والترقب ، والخوف والطمع ، والضراعة والارتجاف ، فى سياق تصوير سلطان الله المتفرد بالقهر والنفع والضر ، نفيا للشركاء المدعاة ، وإرهابا من عقبى الشرك بالله .

﴿هو الذى يريكم البرق.. خوفا وطمعا﴾ .

هو الله الذى يريكم هذه الظاهرة الكونية ، فهى ناشئة من طبيعة الكون التى خلقها هو على هذا النحو الخاص ، وجعل لها خصائصها وظواهرها .. ومنها البرق الذى يريكم إياه وفق ناموسه ، فتخافونه لأنه بذاته يهز الأعصاب ، ولأنه قد يتحول إلى صاعقة ، ولأنه قد يكون نذيرا بسيل مدمر كما علمتكم تجاربكم . وتطمعون فى الخير من ورائه ، فقد يعقبه المطر المدرار المحيى للموات ، المجرى للأنهار .

وينشىء السحاب الثقال ..

وهو كذلك الذى ينشىء السحاب - والسحاب اسم جنس واحدته سحابة - الثقال بالماء .. فوفق ناموسه فى خلقه هذا الكون وتركيبه تتكون السحب ، وتهطل الأمطار .. ولو لم يجعل خلقة الكون على هذا النحو ما تكونت سحب ولا هطلت أمطار .. ومعرفة كيف تتكون السحب ، وكيفية هطول الأمطار لا تفقد هذه الظاهرة الكونية شيئا من روعتها ، ولا شيئا من دلالتها .. فهى تتكون وفق تركيب كونى خاص لم يصنعه أحد إلا الله .. ووفق ناموس معين يحكم هذا التركيب لم يشترك فى سنه أحد من عبيد الله ! كما أن هذا الكون لم يخلق نفسه ، ولا هو الذى ركب فى ذاته ناموسه !

والرعد .. الظاهرة الثالثة لجو المطر والبرق والرعد .. هذا الصوت المقرقع المدوى .. إنه أثر من آثار الناموس الكونى ، الذى صنعه الله - أيا كانت طبيعته وأسبابه - فهو رجع صنع الله فى هذا الكون ، فهو حمد وتسبيح بالقدرة التى صاغت هذا النظام .. كما أن كل مصنوع جميل متقن يسبح ويعلن عن حمد الصانع والثناء عليه بما يحمله من آثار صنعته من جمال وإتقان .. وقد يكون المدلول المباشر للفظ يسبح هو المقصود فعلا ، ويكون الرعد (يسبح) فعلا بحمد الله .. فهذا الغيب الذى زواه الله عن البشر لا بد أن يتلقاه البشر بالتصديق والتسليم وهم لا يعلمون من أمر هذا الكون ولا من أمر أنفسهم إلا القليل !

وقد اختار التعبير أن ينص على تسبيح الرعد بالحمد اتباعا لمنهج التصوير القرآنى فى مثل هذا السياق ، وخلع سمات الحياة وحركاتها على مشاهد الكون الصامتة لتشارك فى المشهد بحركة من جنس حركة المشهد كله - كما فصلت هذا فى كتاب التصوير الفنى فى القرآن - والمشهد هنا مشهد أحياء فى جو طبيعى .. وفيه الملائكة تسبح من خيفته ، وفيه دعاء لله ، ودعاء للشركاء .. وفيه باسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه .. ففى وسط هذا المشهد الداعى العابد المتحرك اشترك الرعد ككائن حى بصوته فى التسبيح والدعاء ..

ثم يكمل جو الرهبة والابتهال والبرق والرعد والسحاب الثقال .. بالصواعق يرسلها فيصيب بها من يشاء .. والصواعق ظاهرة طبيعية ناشئة من تركيب الكون على هذا المنوال ؛ والله يصيب بها أحيانا من غيروا ما بأنفسهم واقتضت حكمته ألا يمهلهم ، لعلمه أن لا خير فى إمهالهم ، فاستحقوا الهلاك ..

والعجيب أنه فى هول البرق والرعد والصواعق ، وفى زحمة تسبيح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وزمجرة العواصف بغضبه .. فى هذا الهول ترتفع أصوات بشرية بالجدل فى الله صاحب كل هذه القوى وباعث كل هذه الأصوات التى ترتفع على كل جدال وكل محال:

﴿ وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال ﴾ !

وهكذا تضيع أصواتهم الضعيفة فى غمرة هذا الهول المتجاوب بالدعاء والابتهال والرعد والقرقعة والصواعق ، الناطقة كلها بوجود الله - الذى يجادلون فيه - وبوحدانيته واتجاه التسبيح والحمد إليه وحده من أضخم مجالى الكون الهائل ، ومن الملائكة الذين يسبحون من خيفته [وللخوف إيقاعه فى هذا المجال] فأين من هذا كله أصوات الضعاف من البشر وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال ؟!

وهم يجادلون فى الله وينسبون إليه شركاء يدعونهم معه .. ودعوة الله هى وحدها الحق ؛ وما عداها باطل ذاهب ، لا ينال صاحبه منه إلا العناء :

﴿ له دعوة الحق ، والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشىء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه ، وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال ﴾ ..

والمشهد هنا ناطق متحرك جاهد لاهف .. فدعوة واحدة هى الحق ، وهى التى تحق ، وهى التى تستجاب .

إنها دعوة الله والتوجه إليه والاعتماد عليه وطلب عونه ورحمته وهداه .. وما عداها

باطل وما عداها ضائع وما عداها هباء .. ألا ترون حال الداعين لغيره من الشركاء ؟ انظروا هذا واحد منهم .. ملهوف ظمآن يمد ذراعيه ويبسط كفيه .وفمه مفتوح يلهث بالدعاء .. يطلب الماء ليبلغ فاه فلا يبلغه .. وما هو ببالغه .. بعد الجهد واللهفة والعناء .. وكذلك دعاء الكافرين بالله الواحد حين يدعون الشركاء :

﴿ وما دعاء الكافرين إلا في ضلال ﴾ ..

وفي أي جو لا يبلغ هذا الداعي اللاهف اللاهث قطرة من ماء ؟ في جو البرق والرعد والسحاب الثقال ، التي تجري هناك بأمر الله الواحد القهار!

وفي الوقت الذي يتخذ هؤلاء الخائبون آلهة من دون الله ، ويتوجهون إليهم بالرجاء والدعاء ، إذا كل من في الكون يعنو لله .. وكلهم محكومون بإرادته ، خاضعون لسنته ، مسيرون وفق ناموسه .. المؤمن منهم يخضع طاعة وإيمانا ، وغير المؤمن يخضع أخذا وإرغاما ، فما يملك أحد أن يخرج على إرادة الله ، ولا أن يعيش خارج ناموسه الذي سنه للحياة :

﴿ ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعا وكرها ، وظلالهم ، بالغدو والآصال ﴾ ..

ولأن الجو جو عبادة ودعاء ، فإن السياق يعبر عن الخضوع لمشيئة الله بالسجود وهو أقصى رمز للعبودية ، ثم يضم إلى شخوص من في السماوات والأرض ، ظلالهم كذلك .. ظلالهم بالغدو في الصباح ، وبالآصال عند انكسار الأشعة وامتداد الظلال .. يضم هذه الظلال إلى الشخوص في السجود والخضوع والامتثال .. وهي في ذاتها حقيقة ، فالظلال تبع للشخوص .. ثم تلقى هذه الحقيقة ظلها على المشهد ، فإذا هو عجب .وإذا السجود مزدوج: شخوص وظلال ! وإذا الكون كله بما فيه من شخوص وظلال جاثية خاضعة عن طريق الإيمان أو غير الإيمان سواء .. كلها تسجد لله .. وأولئك الخائبون يدعون آلهة من دون الله !

وفي جو هذا المشهد العجيب يتوجه إليهم بالأسئلة التهكمية .. فما يجدر بالمشرك بالله في مثل هذا الجو إلا التهكم ، وما يستحق إلا السخرية والاستهزاء :

﴿ قل : من رب السماوات والأرض ؟ قل : الله : قل : أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ؟ قل:هل يستوي الأعمى والبصير ؟ أم هل تستوي الظلمات والنور ؟ أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم ؟ قل : الله خالق كل شيء ، وهو الواحد القهار ﴾ ..

سلهم - وكل من في السماوات والأرض مأخوذ بقدرة الله وإرادته - رضى أم كره - : (من رب السماوات والأرض) ؟.. وهو سؤال لا ليجيبوا عنه ، فقد أجاب السياق من قبل .. إنما ليسمعوا الجواب ملفوظا وقد رأوه مشهودا :قل:الله .. ثم سلهم : (أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا) ؟.. سلهم للاستنكار فهم بالفعل قد اتخذوا أولئك الأولياء .. سلهم والقضية واضحة ، والفرق بين الحق والباطل واضح : وضوح الفارق بين الأعمى والبصير ، وبين الظلمات والنور .. وفي ذكر الأعمى والبصير إشارة إليهم وإلى المؤمنين : فالعمى وحده هو الذي يصدهم عن رؤية الحق الواضح الجاهر الذي

يحس بأثره كل من فى السماوات والأرض .. وفى ذكر الظلمات والنور إشارة إلى حالهم وحال المؤمنين ، فالظلمات التى تحجب الرؤية هى التى تلفهم وتكفهم عن الإدراك للحق المبين .

أم ترى هؤلاء الشركاء الذين اتخذوهم من دون الله ، خلقوا مخلوقات كالتى خلقها الله .. فتشابهت على القوم هذه المخلوقات وتلك ، فلم يدروا أيها من خلق الله وأيها من خلق الشركاء ؟ فهم معذورون إذن إن كان الأمر كذلك ، فى اتخاذ الشركاء ، فلهم من صفات الله تلك القدرة على الخلق ، التى بها يستحق المعبود العبادة ؛ وبدونها لا تقوم شبهة فى عدم استحقاقه !

وهو التهكم المر على القوم يرون كل شىء من خلق الله ، ويرون هذه الآلهة المدعاة لم تخلق شيئا ، وما هى بخالقة شيئا ، إنما هى مخلوقة .. وبعد هذا كله يعبدونها ويدينون لها فى غير شبهة .وذلك أسخف وأحط ما تصل العقول إلى دركه من التفكير ..

والتعقيب على هذا التهكم اللاذع ، حيث لا معارضة ولا جدال ، بعد هذا السؤال :

قل : الله خالق كل شىء .. وهو الواحد القهار ﴾..

فهى الوحدانية فى الخلق ، وهى الوحدانية فى القهر - أقصى درجات السلطان - وهكذا تحاط قضية الشركاء فى مطلعها بسجود من فى السماوات والأرض وظلالهم طوعا وكرها لله ؛ وفى ختامها بالقهر الذى يخضع له كل شىء فى الأرض أو فى السماء .. وقد سبقته من قبل بروق ورعود وصواعق وتسبيح وتحميد عن خوف أو طمع .. فأين القلب الذى يصمد لهذا الهول ، إلا أن يكون أعمى مطموسا يعيش فى الظلمات ، حتى يأخذه الهلاك ؟!

وقبل أن نغادر هذا الوادى نشير إلى التقابلات الملحوظة فى طريقة الأداء .. بين (خوفا وطمعا) وبين البرق الخاطف والسحاب الثقال - و(الثقال) هنا ، بعد إشارتها إلى الماء ، تشارك فى صفة التقابل مع البرق الخفيف الخاطف - وبين تسبيح الرعد بحمده وتسبيح الملائكة من خيفته .. وبين دعوة الحق ودعوة الجهد الضائع .. وبين السماوات والأرض ، وسجود من فيهن طوعا وكرها .. وبين الشخوص والظلال .. وبين الغدو والآصال .. وبين الأعمى والبصير .. وبين الظلمات والنور .. وبين الخالق القاهر والشركاء الذين لا يخلقون شيئا ، ولا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا .. وهكذا يمضى السياق على نهجه فى دقة ملحوظة ولألاء باهر وتنسيق عجيب .

ثم نمضى مع السياق .. يضرب مثلا للحق والباطل .. للدعوة الباقية والدعوة الذاهبة مع الريح .. للخير الهادىء والشر المتنفج .. والمثل المضروب هنا مظهر لقوة الله الواحد القهار .. ولتدبير الخالق المدبر المقدر للأشياء .. وهو من جنس المشاهد الطبيعية التى يمضى فى جوها السياق .

﴿ أنزل من السماء ماء ، فسالت أودية بقدرها ، فاحتمل السيل زبدا رابيا : ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله .. كذلك يضرب الله الحق والباطل .. فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض .. كذلك يضرب الله الأمثال ﴾ ..

وإنزال الماء من السماء حتى تسيل به الوديان يتناسق مع جو البرق والرعد والسحاب الثقال في المشهد السابق ،ويؤلف جانبا من المشهد الكوني العام ، الذي تجرى في وجوده قضايا السورة وموضوعاتها .. وهو كذلك يشهد بقدرة الواحد القهار .. وأن تسيل هذه الأودية بقدرها ، كل بحسبه ، وكل بمقدار طاقته ومقدار حاجته يشهد بتدبير الخالق وتقديره لكل شيء .. وهي إحدى القضايا التي تعالجها السورة .. وليس هذا أو ذاك بعد إلا إطارا للمثل الذي يريد الله ليضربه للناس من مشهود حياتهم الذي يمرون عليه دون انتباه .

إن الماء لينزل من السماء فتسيل به الأودية وهو يلم في طريقه غثاء ، فيطفو على وجهه في صورة الزبد حتى ليحجب الزبد الماء في بعض الأحيان .. هذا الزبد نافش راب منتفخ ولكنه بعد غثاء .والماء من تحته سارب ساكن هادىء .. ولكنه هو الماء الذي يحمل الخير والحياة .. كذلك يقع في المعادن التي تذاب لتصاغ منها حلية كالذهب والفضة ، أو آنية أو آلة نافعة للحياة كالحديد والرصاص ، فإن الخبث يطفو وقد يحجب المعدن الأصيل .ولكنه بعد خبث يذهب ويبقى المعدن في نقاء ..

ذلك مثل الحق والباطل في هذه الحياة . فالباطل يطفو ويعلو وينتفخ ويبدو رابيا طافيا ولكنه بعد زبد أو خبث ، ما يلبث أن يذهب

جفاء مطروحا لا حقيقة ولا تماسك فيه .. والحق يظل هادئا ساكنا .وربما يحسبه بعضهم قد انزوى أو غار أو ضاع أو مات .. ولكنه هو الباقي في الأرض كالماء المحيي والمعدن الصريح ، ينفع الناس .. ﴿ كذلك يضرب الله الأمثال ﴾ .. وكذلك يقرر مصائر الدعوات ، ومصائر الاعتقادات .. ومصائر الأعمال والأقوال .. وهو الله الواحد القهار ، المدبر للكون والحياة ، العليم بالظاهر والباطن والحق والباطل والباقي والزائل .

فمن استجاب لله فله الحسنى .. والذين لم يستجيبوا له يلاقون من الهول ما يود أحدهم لو ملك ما في الأرض ومثله معه أن يفتدي به وما هو بمفتد ، إنما هو الحساب الذي يسوء ، وإنما هي جهنم لهم مهاد .. ويا لسوء المهاد :

﴿ للذين استجابوا لربهم الحسنى ، والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به ، أولئك لهم سوء الحساب ، ومأواهم جهنم .. وبئس المهاد ﴾ ..

ويتقابل الذين يستجيبون مع الذين لا يستجيبون، وتتقابل الحسنى مع سوء العذاب.

ومع جهنم وبئس المهاد .. على منهج السورة كلها وطريقتها المطردة في الأداء .

●●●

بعد المشاهد الهائلة في آفاق الكون وفي أعماق الغيب ، وفي أغوار النفس التي استعرضها شطر السورة الأول ، يأخذ الشطر الثاني في لمسات وجدانية وعقلية ، وتصويرية دقيقة رفيقة ، حول قضية الوحي والرسالة ، وقضية التوحيد والشركاء ، ومسألة طلب الآيات واستعجال تأويل الوعيد .. وهي جولة جديدة حول تلك القضايا في السورة .

وتبدأ هذه الجولة بلمسة فى طبيعة الإيمان وطبيعة الكفر ، فالأول علم والثانى عمى .. وفى طبيعة المؤمنين وطبيعة الكافرين والصفات المميزة لهؤلاء وهؤلاء .. يتلوها مشهد من مشاهد القيامة ، وما فيها من نعيم للأولين ومن عذاب للآخرين . فلمسة فى بسط الرزق وتقديره وردهما إلى الله .. فجولة مع القلوب المؤمنة المطمئنة بذكر الله .. فوصف لهذا القرآن الذى يكاد يسير الجبال وتقطع به الأرض ويكلم به الموتى .. فلمسة بما يصيب الكفار من قوارع تنزل بهم أو تحل قريبا من دارهم .. فجدل تهكمى حول الآلهة المدعاة . فلمسة من مصارع الغابرين ونقص أطراف الأرض منهم حينا بعد حين . يختم هذا كله بتهديد الذين يكذبون برسالة الرسول صلى الله عليه وسلم بتركهم للمصير المعلوم !

من ذلك نرى أن الإيقاعات والمطارق المتوالية فى شطر السورة الأول ، تحضر المشاعر وتهيئها لمواجهة القضايا والمسائل فى شطرها الثانى ، وهى على استعداد وتفتح لتلقيها ؛ وأن شطرى السورة متكاملان ؛ وكل منهما يوقع على الحس طرقاته وإيحاءاته لهدف واحد وقضية واحدة .

●●●

والقضية الأولى هى قضية الوحى .. وقد أثيرت فى صدر السورة .. وهى تثار هنا مرة أخرى على نسق جديد . .

أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى ؟ إنما يتذكر أولو الألباب . .

إن المقابل لمن يعلم أن ما أنزل إليك من ربك هو الحق ليس هو من لا يعلم هذا ، إنما المقابل هو الأعمى ! وهو أسلوب عجيب فى لمس القلوب وتجسيم الفروق . وهو الحق فى الوقت ذاته لا مبالغة فيه ولا زيادة ولا تحريف .. فالعمى وحده هو الذى ينشىء الجهل بهذه الحقيقة الكبرى الواضحة التى لا تخفى إلا على أعمى .. والناس إزاء هذه الحقيقة الكبيرة صنفان:مبصرون فهم يعلمون ، وعمى فهم لا يعلمون ! والعمى عمى البصيرة ، وانطماس المدارك ، واستغلال القلوب ، وانطفاء قبس المعرفة فى الأرواح ، وانفصالها عن مصدر الإشعاع ..

إنما يتذكر أولو الألباب ..

الذين لهم عقول وقلوب مدركة تذكر بالحق فتتذكر ، وتنبه إلى دلائله فتتفكر .

وهذه صفات أولى الألباب هؤلاء :

﴿الذين يوفون بعهد الله ، ولا ينقضون الميثاق﴾ ..

وعهد الله مطلق يشمل كل عهد ، وميثاق الله مطلق يشمل كل ميثاق .. والعهد الأكبر الذى تقوم عليه العهود كلها هو عهد الإيمان ؛ والميثاق الأكبر الذى تتجمع عليه المواثيق كلها هو ميثاق الوفا ، بمقتضيات هذا الإيمان .

وعهدالإيمان قديم وجديد .. قديم مع الفطرة البشرية المتصلة بناموس الوجود كله ؛ المدركة إدراكا مباشرا لوحدة الإرادة التى صدر عنها الوجود ، ووحدة الخالق صاحب الإرادة ، وأنه وحده المعبود .. وهو الميثاق المأخوذ على الذرية فى ظهور بنى آدم فيما ارتضيناه لها من تفسير .. ثم هو جديد مع الرسل الذين بعثهم الله لا لينشئوا عهد الإيمان ولكن ليجددوه ويذكروا به ويفصلوه ، ويبينوا مقتضياته من الدينونة لله وحده والانخلاع من الدينونة لسواه ، مع العمل الصالح والسلوك

القويم ، والتوجه به إلى الله وحده صاحب الميثاق القديم ..

ثم تترتب على العهد الإلهى والميثاق الربانى كل العهود والمواثيق مع البشر .سواء مع الرسول أو مع الناس .. ذوى قرابة أو أجانب .. أفرادا أم جماعات .فالذى يرعى العهد الأول يرعى سائر العهود ؛ لأن رعايتها فريضة ، والذى ينهض بتكاليف الميثاق الأول يؤدى كل ما هو مطلوب منه للناس ؛ لأن هذا داخل فى تكاليف الميثاق .

فهى القاعدة الضخمة الأولى التى يقوم عليها بنيان الحياة كله .. يقررها فى كلمات .

﴿ والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ، ويخشون ربهم ، ويخافون سوء الحساب ﴾ . .

هكذا فى إجمال .. فكل ما أمر الله به أن يوصل يصلونه .. أى أنها الطاعة الكاملة والاستقامة الواصلة ، والسير على السنة ووفق الناموس بلا انحراف ولا التواء .لهذا ترك الأمر مجملا ، ولم يفصل مفردات ما أمر الله به أن يوصل ، لأن هذا التفصيل يطول ، وهو غير مقصود ، إنما المقصود هو تصوير الاستقامة المطلقة التى لا تلتوى ، والطاعة المطلقة التى لا تتفلت ، والصلة المطلقة التى لا تنقطع .. ويلمح عجز الآية إلى الشعور المصاحب فى نفوسهم لهذه الطاعة الكاملة :

﴿ ويخشون ربهم ، ويخافون سوء الحساب ﴾ ..

فهى خشية الله ومخافة العقاب الذى يسوء فى يوم لقائه الرهيب .. وهم أولو الألباب الذين يتدبرون الحساب قبل يوم الحساب .

﴿ والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم ﴾ ..

والصبر ألوان .. وللصبر مقتضيات .صبر على تكاليف الميثاق .. من عمل وجهاد ودعوة واجتهاد .. إلخ وصبر على النعماء والبأساء .. وقل من يصبرعلى النعمة فلا يبطر ولا يكفر .. وصبر على حماقات الناس وجهالاتهم وهى تضيق الصدور .. وصبر وصبر وصبر .. كله ابتغاء وجه ربهم ، لا تحرجا من أن يقول الناس: جذعوا .. ولا تجملا ليقول الناس : صبروا .. ولا رجاء فى نفع من وراء الصبر .. ولا دفعا لضر يأتى به الجزع .. ولا لهدف واحد غير ابتغاء وجه الله ، والصبر على نعمته وبلواه .. صبر التسليم لقضائه والاستسلام لمشيئته والرضى والاقتناع ..

وأقاموا الصلاة ..

وهى داخلة فى الوفاء بعهد الله وميثاقه ، ولكنه يبرزها لأنها الركن الأول لهذا الوفاء ، ولأنها مظهر التوجه الخالص الكامل لله ، ولأنها الصلة الظاهرة بين العبد والرب ، الخالصة له ليس فيها من حركة ولا كلمة لسواه.

﴿ وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ﴾ ..

وهى داخلة فى وصل ما أمر الله به أن يوصل ، وفى الوفاء بتكاليف الميثاق .ولكنه يبرزها ؛ لأنها الصلة بين عباد الله التى تجمعهم فى الله وهم فى نطاق الحياة .. والتى تزكى نفس معطيها من البخل ، وتزكى نفس آخذها من الغل ؛ وتجعل الحياة فى المجتمع المسلم لائقة بالبشر المتعاونين المتضامنين الكرام على الله .والإنفاق سرا وعلانية .. السر حيث تصان الكرامة وتطلب المروءة ، وتتحرج النفس من الإعلان .. والعلانية حيث تطلب الأسوة ، وتنفذ الشريعة ، ويطاع القانون .. ولكل موضعه فى الحياة .

ويدرأون بالحسنة السيئة . .

والمقصود أنهم يقابلون السيئة بالحسنة فى التعاملات اليومية لا فى دين الله .ولكن التعبير يتجاوز المقدمة إلى النتيجة .. فمقابلة السيئة بالحسنة تكسر شرة النفوس ، وتوجهها إلى الخير ؛ وتطفىء جذوة الشر ، وترد نزغ الشيطان ، ومن ثم تدرأ السيئة وتدفعها فى النهاية .. فعجل النص بهذه النهاية وصدر بها الآية ترغيبا فى مقابلة السيئة بالحسنة وطلبا لنتيجتها المرتقبة . .

ثم هى إشارة خفية إلى مقابلة السيئة بالحسنة عندما يكون فى هذا درء السيئة ودفعها لا إطماعها واستعلاؤها !! فأما حين تحتاج السيئة إلى القمع ، ويحتاج الشر إلى الدفع ، فلا مكان لمقابلتها بالحسنة ، لئلا ينتفش الشر ويتجرأ ويستعلى .

ودرء السيئة بالحسنة يكون غالبا فى المعاملة الشخصية بين المتماثلين .. فأما فى

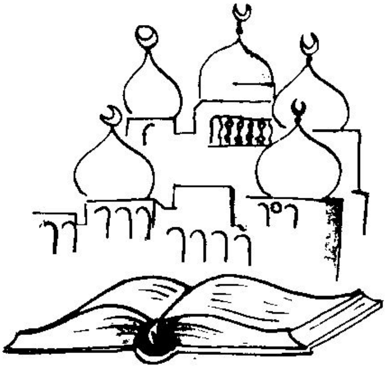

دين الله فلا .. إن المستعلى الغاشم لا يجدى معه إلا الدفع الصارم .. والمفسدون فى الأرض لا يجدى معهم إلا الأخذ الحاسم .. والتوجيهات القرآنية متروكة لتدبر المواقف ، واستشارة الألباب ، والتصرف بما يرجح أنه الخير والصواب .

﴿ أولئك لهم عقبى الدار : جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ؛ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب .. سلام عليكم بما صبرتم ، فنعم عقبى الدار ﴾ ..

(أولئك) فى مقامهم العالى لهم عقبى الدار:جنات عدن للإقامة والقرار .

فى هذه الجنات يأتلف شملهم مع الصالحين من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم، وهؤلاء يدخلون الجنة بصلاحهم واستحقاقهم .. ولكنهم يكرمون بتجمع شتاتهم ، وتلاقى أحبابهم ، وهى لذة أخرى تضاعف لذة الشعور بالجنان .

وفى جو التجمع والتلاقى يشترك الملائكة فى التأهيل والتكريم، فى حركة رائحة غادية:

﴿ يدخلون عليهم من كل باب ﴾ ..

ويدعنا السياق نرى المشهد حاضرا وكأنما نشهده ونسمع الملائكة أطوافا أطوافا :

﴿ سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ﴾ ..

فهو مهرجان حافل باللقاء والسلام والحركة الدائبة والإكرام .

وعلى الضفة الأخرى أولئك الذين لا ألباب لهم فيتذكروا .. ولا بصيرة لهم فيبصروا .. وهم على النقيض فى كل شىء مع أولى الألباب .

سيد قطب

بمناسبة صدور العدد ٣٠٠

المختار الإسلامى فى عيون قرائها

بمناسبة صدور العدد ٣٠٠ من مجلة المختار الإسلامى استطلعنا آراء مجموعة من العلماء والمفكرين ونظرتهم للمجلة بعد هذه السنوات من عمرها المديد بإذن الله تعالى.

المفكر والقيادى البارز الدكتور عصام العريان بجماعة الإخوان المسلمين يقول : مجلة المختار اعتز بها لأنها استمرت رغم الفترة الطويلة من الحصار على الصحافة الإسلامية فهى متميزة بأسلوبها وكتابها ؛ لذلك فإننى حريص على متابعتها باستمرار رغم طول بعض المقالات. وأتمنى للمختار أن تظل محتفظة بخصوصيتها وأن تصدر دار المختار مجلة تخاطب الأجيال الكبيرة من شباب المسلمين مع خالص الشكر للصفحة الجديدة .

أما الدكتور محمد جمال حشمت عضو مجلس الشعب السابق فيقول :

أتابع المجلة منذ بداية صدورها مجلدات وأتابع فيها المقالات الجريئة للدكتور محمد

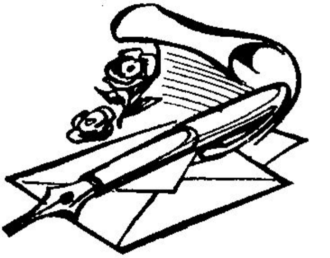

يحيى وللشهيد سيد قطب بالإضافة إلى التحليلات المستمرة التى تعرضها لكن الذى يحزننى أننا لا نراها أسبوعياً حتى تواكب العصر الذى نحن فيه الآن وما يتطرق من أخبار كثيرة وسريعة وقضايا ساخنة على الساحة يجب مناقشتها أولاً بأول .

ويرى الدكتور عبد الحى الفرماوى الأستاذ بجامعة الأزهر أن المجلة هى القصيدة الإسلامية الآن التى تعرض الأحداث بشئ رائع وممتاز كما أن كتابها على درجة عالية من العمق والثقافة ومقالاتهم تعرض بشكل جيد ولكن على الرغم من ذلك فإنها لم تعط لها حقها فى الدعاية والانتشار فى الصحف والتلفزيون.

أما هدى عبد المنعم المحامية وعضو اللجنة العالمية للمرأة والطفل التابعة للمجلس الإسلامى العالمى للإغاثة فتقول : المختار يقرؤها فئة معينة من الشعب وهى الفئة المثقفة التى تستوعب كل كلمة بها فهى دسمة فى مادتها وثقيلة على الآخرين من الناس لأنها تحمل رسالة وفكراً إسلامياً متميزاً لذلك أتمنى أن يعود ملحق الزهرات مثلما كان فى الماضى حتى تكون المجلة محل جذب للأسرة المسلمة كلها ؛ لأننا نعتقد فى مثل هذه المجلات الإسلامية المتخصصة فى هذا العصر.

إعداد : مى محمود

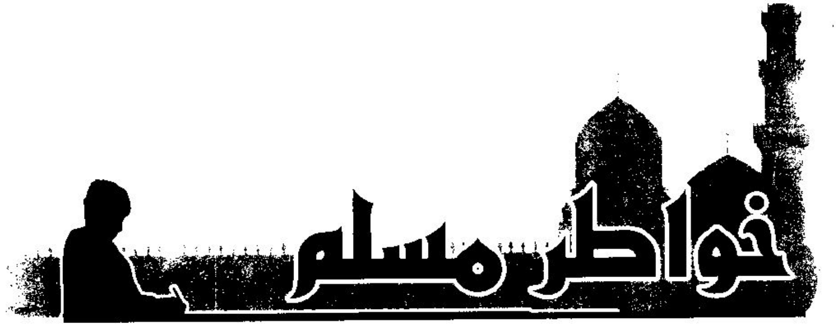

كرزاى يهدد الأمريكين !!

أعلن الرئيس الأفغانى حامد كرزاى أنه سيتخذ الإجراءات المناسبة لمعاقبة المسئولين عن "جريمة بشعة حسب وصف كرزاى" إذا تبين أن جنودا أمريكيين أحرقوا مصحفا خلال عملية عسكرية قام بها الجنود الأمريكيون مؤخراً .

وصرح حميون حميد زادة الناطق باسم كرزاى أنه إذا تبين أن جنودا أمريكيين أحرقوا المصحف الكريم فى جنوب البلاد فإن أفغانستان ستأخذ الإجراءات المناسبة لمواجهة مشكلة بتلك الخطورة، لكن حتى الآن ليس لدينا أدلة، وقال أيضا : "اتصلنا بالقوات الأجنبية وأكد لنا قادتهم أن التحقيق جار"، و"أن رئيس الدولة منشغل كثيراً بتلك الجريمة البشعة".

بالطبع فإنها جريمة بشعة، ولكن ليست الجريمة الوحيدة فى هذا الصدد ، فالاحتلال نفسه جريمة بشعة ضد الدين، كما أن حرق المصحف جريمة بشعة ضد الدين، وكذا قتل المدنيين وإحراق المبانى وفرض نظام حكم عميل على الأفغان هي جرائم ضد الدين .

لا يمكننا بالطبع أن نصدق كرزاى، أو نصدق المتحدث باسمه فإنهم غير قادرين على توقيع عقوبة بالمسئولين عن هذه الجريمة البشعة، لسبب بسيط هو أن كرزاى وحكومته هم مجرد دمى جاء بها الاحتلال، ويستطيع أن يلقيها فى القمامة فى أى وقت، وتفسير هذه العنتريات الكرازية هو أن العملية افتضحت لدرجة يصعب تجاهلها ، فلطالما تجاهل كرزاى وحكومته جرائم من هذا النوع، فالصفحات المحروقة من المصحف موجودة لدى وزارة الداخلية الأفغانية وأهالى ولاية كونار تظاهروا واحتجوا على تلك العملية، ومن ثم يصبح من الصعب تجاهلها ، والأمريكان أنفسهم أعلنوا أنهم بدءوا تحقيقا فى هذا الموضوع، ومن ثم فإن تصرفات كرزاى العنترية تحصيل حاصل أولاً ، ولامتصاص غضب الجمهور الأفغانى ثانيا .

بقلم: د. محمد مورو

السياسيون الأمريكيون يستحقون المحاكمة

هذه المرة جـاءت الشـهـادة من القـائد العسكرى السابق للجيش الأمريكى فى العراق الجنرال ريكاردو سـانشـيـز، وهو الرجل الذى عاش فى العراق وقاد المعارك الأمريكية فيها ومن ثم شهد على الطبيعة حقيقة الأوضاع، يقول الرجل : "إن الاستراتيجية الأمريكية الحالية التى ينتهجها البيت الأبيض فى العراق لن تحقق النصر وأنها كابوس لانهاية له، وأن الزيادة فى أعداد القوات الأمريكية الذى تم فى بداية ٢٠٠٧ لم يحقق أى إنجاز على الأرض، ولم يؤد الى تحقيق استقرار سياسى أو تقليل عمليات العنف، وأن القادة السياسيين الأمريكيين يفتقرون الى الكفاءة، وأنهم قادة فاسدون وفاشلون ولايسعون إلى المصالح الامريكية، بل الحفاظ على كراسيهم فقط، وأنهم لا تعنيهم أرواح وسلامة الجنود الأمريكيين بقدر ما يعنيهم صورتهم السياسية أمام الجمهور، وأن هؤلاء القادة يستحقون الإحالة إلى محاكمة عسكرية لو كانوا يخدمون فى صفوف القوات المسلحة الأمريكية، وأنه لا أمل فى النصر، حتى برغم التعديلات والتغييرات المستمرة فى الاستراتيجية الأمريكية".

ووجه الجنرال ريكاردو سانشيز انتقادات حادة لمجلس الأمن القومى الذى كانت ترأسه كونداليزا رايس وزيرة الخارجية الأمريكية حاليا خلال فترة خدمته فى العراق، وقال: إن المجلس تبنى استراتيجيات خاطئة فى العراق وأخفق فى تعبئة الحكومة بشكل جيد، كما لم يسلم الكونجرس ووزارة الخارجية الأمريكية من انتقادات الجنرال ريكاردو سانشيز ولخص سانشيز كلامه بقوله "إنه لاتوجد استراتيجية أمريكية شاملة فى العراق".

وهكذا فإن الفشل الأمريكى الذريع فى العراق ليس مجرد فشل فى معركة، بل كشف عن وجود خلل وفساد وقلة كفاءة فى جميع الإدارات الأمريكية على حد رأى الجنرال سانشيز فى الكونجرس ووزارة الخارجية والبيت الأبيض والبنتاجون .

الأصولية الأمريكية

يخطئ من يتصور أن مخاطبة الوجدان الديني أمر قاصر على المنطقة العربية والإسلامية، ويخطئ من يتصور أن الأصولية الأمريكية هي تيار معين موجود في اليمين الديني الأمريكي، أو المحافظين الجدد أو غيرها من الأسماء، ذلك إن تلك الأصولية تعبر عن نفسها في الولايات المتحدة بطرق متعددة، بل إن نشأة أمريكا ذاتها اعتمدت على نصوص دينية تبرر ذبح وإبادة الهنود الحمر، وأن تلك هي رسالة الرب، وأن الشعب الأمريكي هو شعب الله المختار لأداء رسالة معينة، ويوجد مثلاً في قسم الولاء الأمريكي عبارة "أمة واحدة تحت رعاية الله" وعلى الدولار الامريكي نفسه - وهو العملة الرسمية للولايات المتحدة الأمريكية - عبارة "نثق في الله" وفي السلام الوطني الأمريكي عبارة "لتحمد أرضنا الله"، وفي النشيد الوطني الأمريكي "ليحفظ الله أمريكا" ويبدأ الكونجرس كل جلسة بصلاة، ويختتم تنصيب رئيس الجمهورية بعبارة "ليحفظ الله أمريكا".

وتتصاعد موجة مخاطبة الوجدان الديني الأمريكي إبان الحملات الانتخابية، ويرصد الأستاذ محمد على صالح عددا من الوقائع في هذا الصدد، فيقول من واشنطن : إن السيناتور سام براونباك - مرشح للرئاسة من الحزب الجمهوري - أنشد في ندوة انتخابية النشيد الديني المفضل للأم تيريزا القسيسة الحاصلة على جائزة نوبل للسلام وهو نشيد "كلنا للمسيح" .. ويرى كثير من المفكرين أن الدولة الأمريكية ليست علمانية، ولكن الحكومة فقط هي العلمانية، وإذا ما فاز أمثال جورج بوش فإن كلا من الدولة والحكومة ؛ أي الإدارة لا تصبح علمانية، ويكفي أن نعرف أن جورج بوش يستند إلى الإنجيل في خطبه كثيرا جداً، ويقيم الصلوات داخل البيت الابيض، وإذا ما سارت الأمور في هذا الاتجاه فإن البقاء لله في أمريكا العلمانية المزعومة، ولا عزاء للعلمانيين العرب .

الحرب الباردة من جديد

لاحظ المراقبون في الآونة الاخيرة أن روسيا تحاول أن تستعيد شيئا من هيبتها المفقودة بعد انفراط عقد الاتحاد السوفيتي السابق، وانفراد الولايات المتحدة الأمريكية بالهيمنة على العالم، ولكن المسألة بالطبع تحتاج إلى مدة طويلة نسبيا لتحقيق توازن جديد، وفي أي الأحوال فإنه لولا المقاومة العراقية والأفغانية لما كانت الولايات المتحدة قد توقفت عن المزيد من الهيمنة على العالم، ومن ثم فإن الوسيلة الصحيحة أمام روسيا أو الصين أو أي دولة أو مجموعة دول ترغب في تقليص هيمنة الولايات المتحدة هو دعم تلك المقاومات .

الخبر الأكثر دلالة هنا هو أن مايك ماكونيل مدير المخابرات الوطنية الأمريكية قال أمام الكونجرس : إن كلا من الصين وروسيا تتجسسان على الولايات المتحدة الأمريكية بمعدل يقارب ذلك المعدل الذي حدث في فترة الحرب الباردة، وأن الصين وروسيا

تتجسسان وبشكل متزايد على هيئات أمريكية حساسة إضافة إلى نظم التجسس ومشروعات التنمية وطالب المسئول الأمريكي الكونجرس بضرورة إدخال مزيد من التعديلات على قانون التجسس الذي كان قد أقره الكونجرس في أغسطس الماضي، وهو القانون الذي أباح للإدارة الأمريكية التجسس على المكالمات الهاتفية للأمريكيين ورسائلهم البريدية أو رسائلهم التي يبثونها أو يتلقونها عبر البريد الإليكتروني بدون الحاجة إلى استصدار أمر قضائي لإجراء هذه العملية، وبديهي أن مدير المخابرات الوطنية الأمريكية يريد المزيد من الصلاحيات، رغم أن هناك اعتراضات واسعة من جانب دعاة الحقوق المدنية، بل إن أعضاء في الكونجرس يرون أن القانون الذي يسمح بالتجسس على مكالمات بريد الأمريكيين دون إذن قضائي هو انتهاك لتلك الحقوق المدنية، وهكذا فيمكننا أن نتصور أن كلام مدير المخابرات عن النشاط التجسسي الصيني والروسي ضد أمريكا هو

مجرد محاولة لتبرير ذلك القانون والحصول على المزيد من الصلاحيات في هذا الإطار ؛ لأن الحديث عن حرب باردة جديدة لايزال أمامه وقت طويل .

الحرب على الإرهاب تحولت إلى كارثة للغرب

قالت مجموعة أبحاث "أوكسفورد" وهي مجموعة بحث مرموقة، أن الحرب على الإرهاب التي قادتها الولايات المتحدة الأمريكية منذ ٦ سنوات كانت كارثة للغرب، وأنها أتت بنتائج عكسية في العراق وأفغانستان، وأن الاستراتيجية التي اتبعها الغرب منذ هجمات ١١ سبتمبر فشلت في إزالة التهديد فضلا عن أنها غذته بالمزيد من العناصر والقوة ! وقالت الدراسة إن هناك عددا كبيرا من المدنيين في العراق وأفغانستان قد تم قتلهم على يد القوات الغربية، وأن هذا يزيد من التفاف الناس هناك حول الإرهابيين، وأضافت الدراسة أن هناك اعتقالات واسعة تتم دون محاكمة في تلك البلدان التي غزتها القوات الغربية.

وقد اهتمت تلك الدراسة بالحرب على العراق بصورة خاصة، وقد وصفتها الدراسة بأنها خطأ خطير أدى إلى ايجاد ساحة تدريب قتالية للعناصر المتطرفة تستلهم نهج تنظيم القاعدة أو ذات صلة به.

واعترفت الدراسة بأن الوضع في العراق وأفغانستان شبيه بالأوضاع التي كانت سائدة ضد الاتحاد السوفييتي عندما احتل أفغانستان في ثمانينيات القرن الماضي.

وعلى الصعيد الأفغانى، قالت الدراسة : إن الاطاحة بحركة طالبان من السلطة أضافت قيمة مباشرة لتنظيم القاعدة، حيث إن الميليشيات المتعاطفة مع أيديولوجية القاعدة والعنف قد شهدت عملية إعادة إحياء قوية، وأن الاعتقالات العشوائية والتعذيب والانتهاكات الغربية بحق المشتبه بهم، أعطى سلاحا دعائيا قويا لفكرة العنف ضد الغرب.

وطالبت الدراسة بتغيير السياسات المتبعة تجاه الإرهاب والسعى لفهم جذور العنف الإسلامى وأسباب تأييد الجمهور للقاعدة والحد من هذا التأييد .

خلل فى المجتمع الصهيونى

يبدو أن الخلل فى المجتمع الإسرائيلى أصبح شاملاً بحيث إنه بات يفرز ظواهر وعوارض ربما تبدو غير مفهومة ولا منطقية، أو أن الأعمال الإجرامية التى مارسها المجتمع الصهيونى طوال تاريخه ضد شعوب المنطقة عموما، والشعب الفلسطينى خصوصا، أفرزت ظواهر غريبة داخل هذا المجتمع ذاته .

فقد كشفت الشرطة الإسرائيلية عن أمر اعتقال عشرة شبان إسرائيليين "يهود" و"لاحظ أنهم يهود" من سكان مدن تل أبيب وحولون وبتاح تكفا ومن القادمين إلى إسرائيل من دول الاتحاد السوفيتى السابق بتهمة تشكيل خلية نازية تتبع لحركة النازيين الجدد فى إسرائيل، والتسمية ذاتها غريبة، فكيف يكون هناك نازيون يهود، رغم أن العداء التاريخى بين اليهودية والنازية معروف، وهناك اتهامات من اليهود للنازية بأنها ارتكبت محارق "هولوكست" ضدهم أبادت فيها ملايين اليهود، حسب الشرطة الإسرائيلية فإن أفراد تلك الخلية نفذوا عددا من العمليات التخريبية، حيث أحرقوا معبدين يهوديين فى مدينة حولون، كما قاموا بكتابة شعارات نازية على جدران المنازل "هل هو نوع من الانتقام من النفس بعد الشعور بالذنب أو الخلل؟"!، وأضافت الشرطة أنهم كانوا يعتدون بالضرب على العمال الأجانب، كما خطط أفراد الخلية للاعتداء على شبان من اليهود المتدينين، وأنهم كانوا قد جهزوا ٥ كيلوجرامات من المواد الناسفة لاستخدامها ضد اليهود فى تل أبيب، والغريب أن هؤلاء كانوا يحملون رايات عليها الصليب المعقوف "رمز النازية" وكانوا يحتفظون بصور لهتلر .

كيف يمكن فهم هذا الأمر؟ كيف يمكن أن يعجب يهود إسرائيليون بهتلر، وأن يحملوا رايات عليها الصليب المعقوف، وأن يعتدوا على معابد يهودية ويخططون لقتل يهود.. إنه الخلل والدمار الذاتى والانتحار، إنه عاقبة الظلم !!

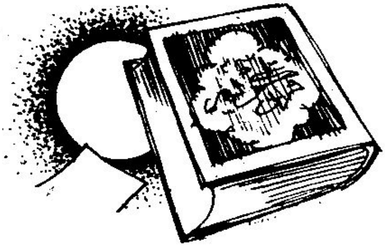

الرصاص وكوليرا

من لم يمت برصاص الاحتلال، مات بكوليرا الاحتلال، وهذه ليست مبالغة، فهذه هى حالة العراق بعد الاحتلال الأمريكى، نعم مصطلح كوليرا الاحتلال ليس خطأ، وبديهى أن الكوليرا وباء ومرض موجود قبل الاحتلال وبعده، ولكنها لا تظهر عادة إلا مع انهيار الأوضاع المتصلة بالنظافة والمرافق والأحوال الاقتصادية عموما، ذلك أن وجود ماء ومجار وكهرباء وقدرات اقتصادية تسمح بالتطهير والتعقيم والعلاج والوقاية تمنع إلى حد كبير انتشار الكوليرا، وحديثا لم نجد الكوليرا تظهر إلا فى المناطق الموبوءة بالاحتلال فى الصومال عقب الاحتلال الإثيوبى، وفى العراق عقب الاحتلال الأمريكى، ومسكين الشعب العراقى الذى يهاجر إلى الخارج وإلى الداخل أيضا، والذى يعانى الموت برصاص الاحتلال والشركات التى يستأجرها الاحتلال مثل بلاك ووتر، أو حتى فرق الموت التى تسبب الاحتلال فى ظهورها وتسلحها أو سمح بتسليحها.. الخ، ويعانى أيضا انهيار المرافق من ماء وكهرباء ومجار، وهى أمور تقود بالضرورة إلى الأوبئة، وهكذا فإنه بالفعل "كوليرا الاحتلال الامريكى فى العراق".

ليس العراق وحده بالطبع، فقد حذرت منظمة الصحة العالمية فى جنيف الدول المجاورة للعراق بالاستعداد لاحتمال انتشار وباء الكوليرا من العراق إلى أراضيها، وأشارت المنظمة إلى أن الكوليرا تنتشر حاليا فى تسع من المحافظات العراقية الثمانى عشرة وأن دائرة انتشاره آخذة فى الاتساع، وأشار بيان المنظمة إلى أن حوالى ٣٠ ألف شخص عراقى يعانون حاليا أمراضاً حادة يمكن أن تكون بداية للمرض، وأن المرض ينتشر بسبب تداعى شبكات الصرف الصحى والمياه، وأن حالات الوفاة بلغت ١٤حالة والإصابات المؤكدة تبلغ عدة آلاف.

لعنة الله على الاحتلال..

ضربة أمريكية رمزية لإيران !

تصاعد الحديث عن توجيه ضربة أمريكية لإيران ليس بالطبع مجرد كلام لتخويف إيران، أو للاستهلاك المحلى الأمريكى الداخلى، ولكنه يعبر عن حقيقة وخطة موجودة بالفعل لدى الإدارة الأمريكية، وكذا لدى الجيش الصهيونى.

ومن ثم فإن تلك الضربة باتت ضرورة لأكثر من سبب، ويمكن أن تكون أمريكية إسرائيلية مشتركة، أو أمريكية فقط، وهناك احتمال ضعيف أن تكون إسرائيلية فقط بدعم أمريكى طبعًا؛ ذلك أن أضعف الحلقات فى الموضوع الإيرانى هو إسرائيل طبعًا، والتى من الممكن لإيران أن تستهدفها بسهولة بالصورايخ الإيرانية البعيدة المدى، أو عن طريق صورايخ حزب الله، أو حتى صورايخ سوريا، ومن ثم فإن إسرائيل لا تملك أن تقوم بهذه المغامرة، وإذا ما قررت أن تتصرف منفردة، بمعنى أن الأمريكان قد خذلوها، فإن إسرائيل سوف تضرب سوريا على الأرجح.

الضربة الأمريكية لإيران أصبحت من الأمور المحتملة جداً ، لدرجة أن مراكز الأبحاث والصحف والدوائر الإعلامية راحت

تتحدث عن كيفية توجيه هذه الضربة، وليس السؤال عن هل ستحدث أم لا، فمجلة "نيويوركر" الأمريكية كشفت عن أن إدارة الرئيس الأمريكي جورج بوش تدرس إمكانية شن هجمات جوية لكل مواقع قوات الحرس الثوري الإيراني بدلاً من المنشآت النووية الإيرانية .. وقال كاتب المقال الصحفي الشهير سيمورهيرش : إن وتيرة الاستعدادات العسكرية الأمريكية لتوجيه ضربة لإيران قد تسارعت في الآونة الأخيرة، وإن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية قد خصصت وحدة للشئون الإيرانية، وإنه سوف يتم استخدام صواريخ تطلق من البحر والجو بهدف تدمير منشآت القيادة والمراقبة .. وتضيف صحيفة "نيويوركر" أن نائب الرئيس الأمريكي ديك تشيني يدفع باتجاه المواجهة مع الإيرانيين.

هذا السيناريو الذي كشفه الصحفي الشهير سيمورهيرش يعني بداية أن الولايات المتحدة قد قررت الانسحاب من العراق، وأنه لتبرير هذا الانسحاب فإنها سوف تضرب إيران كنوع من إثبات القوة أولاً، ولتبرير الانسحاب الأمريكي من العراق ثانيًا، حتى لا تتحول القوات الأمريكية في العراق إلى هدف سهل بالنسبة للصياد الإيراني. واختيار ضرب منشآت ومراكز الحرس الثوري الإيراني هو نوع من إرضاء الرأي العام الأمريكي، على أساس أن هذا الحرس هو الذي دعم قتل الجنود الأمريكيين في العراق، أما ضرب المنشآت النووية فهو في الأساس من أجل إسرائيل، ومن ثم فإن هناك انزعاجًا إسرائيليًا كبيراً من عدم اهتمام الولايات المتحدة بتوجيه ضربة إلى المنشآت النووية الإيرانية .. والاحتمال الأكثر خطورة هنا أن تقوم إسرائيل بضرب تلك المنشآت النووية في حال قيام الولايات المتحدة ببدء ضرب المواقع الإيرانية.

من جهته فإن السفير السابق في الأمم المتحدة الأمريكي "جون بولتون-" وهو من رموز اليمين المحافظ- قال أمام البرلمان البريطاني : إن الولايات المتحدة ستضطر للقيام بعمل عسكري ضد إيران، وإن الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد يتحدى الغرب، وإن الضربة الأمريكية على إيران ستكون محدودة.

الحرب المحدودة لماذا ؟.. لماذا تلجأ الولايات المتحدة لهذا الخيار؟ أي الحرب المحدودة على إيران، وضرب مواقع الحرس الثوري وليس المنشآت النووية ؟

إن المسألة واضحة، أمريكا تريد توجيه ضربة رمزية لإيران لا تستفز الحكومة الإيرانية وحلفاءها كثيراً، ومن ثم يكون ردُّ الفعل الإيراني ومن حلفاء إيران - خاصة التنظيمات الإرهابية - محدوداً ويمكن احتماله، وفي نفس الوقت تحفظ الولايات المتحدة ماء وجهها أمام العالم حتى لا تبدو عاجزة أمام سلسلة التحديات اللفظية من أحمدي نجاد، والعملية من الحرس الثوري في الملف العراقي .. وفي الإطار ذاته فإن الانزعاج والخوف الإسرائيلي من انسحاب أمريكي من العراق يمكن تخديره وتسكينه أمريكيًا بضرب إيران، وكذلك لطمأنة دول

الخليج الخائفة من إيران .

على أن الولايات المتحدة فى الحقيقة لا تُسرِّب الحديث عن ضرب إيران إلا فى إطار تجهيز المسرح للانسحاب من العراق، ولا ننسى هنا أن الكونجرس الأمريكى تبنى خطة "غير ملزمة"؛ أى استكشافية، لتجزئة وتقسيم العراق.

وبديهى أن تجزئة العراق تعنى إطلاق يد إيران فى الجزء الجنوبى الشيعى، وهذا أفضل لأمريكا؛ لأن ترك العراق بدون استدعاء إيران يعنى إمكانية سيطرة المنظمات الإرهابية على العراق وتحويله إلى قاعدة لمطاردة أمريكا، وبديهى أن وجود الدعم الإيرانى للشيعة سيمنع إلى حدٍّ كبير هذا السيناريو.

الضربة إذن ستكون رمزية؛ لإرضاء إسرائيل وحلفاء أمريكا، وحفظ ماء الوجه، وتبرير الانسحاب من العراق، وبديهى أن القادة الإيرانيين يعرفون أن الضربة ستكون رمزية، ومن ثم فهم يتحدثون بثقة عن عدم إمكانية إنهاء الملف النووى، وأنه ليس ملفًا سياسيًا، ويجب إخراجه من المفاوضات ... إلخ.

ويدرك القادة الإيرانيون أو يراهنون على أن الولايات المتحدة لا يمكنها ضرب إيران بطريقة تضعفها جداً؛ لأن معنى ذلك ترك الساحة فى المنطقة للقوات الإسلامية السنية المتشددة، وهى القوى التى ترى الولايات المتحدة أنها أخطر من إيران، وأنه إذا كان من الممكن الوصول إلى حل واتفاق مع إيران فإن ذلك مستحيل مع تلك القوى التى ترغب فى تدمير أمريكا وإقامة خلافة إسلامية، وأنها لن تهدأ قبل تحقيق هذا الهدف .

هل اقترب موعد ضرب إيران ؟

رغم كل المخاطر المحتملة من إقدام الولايات المتحدة الأمريكية على ضرب إيران، وتداعيات ذلك على المنطقة والعالم، وكذا ردود الفعل المتوقعة من إيران - مثل إغلاق طرق تصدير البترول من الخليج - أو من حلفاء إيران مثل حزب الله وحماس والجهاد الفلسطينى بضرب إسرائيل بالصواريخ أو تنفيذ عمليات فدائية ضد مصالح أمريكية، فإن الأمور تتجه نحو قيام الولايات المتحدة بضرب إيران، وتحديد ضرب حوالى ٢٠٠٠ موقع نووى وعسكرى تم اختيارها مسبقا بالطيران دون التورط فى دخول قوات برية أمريكية إلى داخل إيران، وفى الحقيقة فإن الأوساط الأوروبية باتت تميل إلى ضرورة تقليم أظافر إيران النووية، ولعل تصريحات الرئيس الفرنسى ساركوزى مؤخراً حول ضرورة عدم السماح لإيران بتطوير سلاح نووى يأتى فى هذا الصدد، هل ستقتصر الضربة الأمريكية على أهداف إيرانية أم تكون عملية شاملة ضد إيران وسوريا وحزب الله وحماس تقوم بها أمريكا وإسرائيل بالتنسيق أو التزامن ؟!

الحديث عن سيناريوهات ضرب إيران بات حديثا متواترا فى الصحافة الأوروبية، فصحيفة الأوبزرفر البريطانية قالت : إن الوقت لم يعد يسمح بتجنب الحرب مع إيران، وأن امتلاك إيران للسلاح النووى سيجعل من طهران تهديدا للسلام والأمن فى العالم ويؤدى إلى تنشيط سباق التسلح، وأشارت

الصحيفة إلى أن هناك إجماعا فى الولايات المتحدة وأوروبا على ضرورة كبح جماح إيران، أما صحيفة صنداى تليجراف فقالت : إن الإدارة الأمريكية تستعد حاليا لشن حرب على إيران، وأن الرئيس الأمريكى جورج بوش يضع بلاده حاليا على طريق الحرب مع إيران، ونقلت الصحيفة عن مصادر مطلعة فى البنتاجون والمخابرات الأمريكية اعتقادهم بأن البيت الأبيض وضع برنامجا متأنيا للتصعيد يمهد الطريق لمواجهة عسكرية مع إيران .

والسؤال الآن : هل نأمل فى أن تؤدى تلك الضربة أو حتى تلك الأنباء عن الضربة إلى تغيير شيعة العراق موقفهم من أمريكا، ويتحدوا مع السنة فى مواجهة الخطر الأمريكى على الأمة، وهو خطر أصبح يمس السنة والشيعة معاً ؟

متناقضات.. ولكن

فى حين استبعدت الآنسة كونداليزا رايس وزيرة الخارجية الأمريكية إبان زيارتها للقدس المحتلة ولقائها مع إيهود أولمرت رئيس الوزراء الإسرائيلى إمكانية الوصول إلى تفاهم بين الإسرائيليين والفلسطينيين "الأحرى بين إيهود أولمرت ومحمود عباس" حول القضايا الشائكة "الحدود - الأمن - المياه - اللاجئين - القدس - المستعمرات" فإنها فى نفس الوقت دعت إلى حضور عربى مكثف لمؤتمر السلام المزعوم المقرر عقده فى مدينة أنابوليس عاصمة ولاية ميريلاند الأمريكية، وهذا بالطبع تناقض واضح، وبالمناسبة فهو تناقض بسيط أيضا، ومع ذلك تصر كونداليزا عليه، فهل هى تتصور أن رؤساء الحكومات العربية التى تدعوها إلى المؤتمر مجرد رؤساء سذج لايفهمون هذا التناقض، أم أنها متأكدة إنهم بلا إرادة بحيث إنهم لو فهموا فلن يعصوا لها امراً؟!

وفى كل التجارب السياسية السابقة وفى أبجديات علم السياسة المعاصر، فأنا لم أسمع عن مسئول يدعو إلى شىء لا يتوقع نجاحه فى الوصول إلى أى اتفاق، بالطبع هذا لا علاقة له بهدف أمريكا من المؤتمر، وهو التمهيد لضرب إيران مثلاً، أو هدف أولمرت من المؤتمر، وهو تحقيق تطبيع مجانى مع بعض الحكومات العربية، والغريب أن الآنسة كونداليزا بعد أن دعت إلى عدم رفع سقف التوقعات وحذرت من ذلك توجهت إلى مصر والأردن للدعوة لنفس الشىء المتناقض!!

الأكثر دلالة هنا هو أن رئيس الوزراء الإسرائيلى إيهود أولمرت صرح علنا أنه يعارض تحديد جدول زمنى دقيق لإنهاء عملية التفاوض مع الفلسطينيين حول الوضع الدائم، وفى نفس الإطار فإن الحكومة الإسرائيلية قامت بتعيين السيدة تسيبى ليفنى وزيرة الخارجية الصهيونية رئيسة لوفد إسرائيل لدى مؤتمر ميريلاند للسلام وبديهى أن تعيين ليفنى لهذا المنصب يعنى تشدد الموقف الصهيونى حيث تصر ليفنى دائما على البدء والانتهاء فى المفاوضات بموضوع الأمن الإسرائيلى فقط .

د. محمد مورو

مغامرات غيور

د . أيمن منصور

هادم اللذات

من أقوال أحد الصالحين (لم أجد يقينا أقرب إلى الشك ... من الموت)

الموت

الحاضر الغائب

الحاضر الغائب دائماً ... يحصد أرواح الآلاف يوميا . وكل ساعة .. بالليل والنهار . لايعبأ بالزمن .. الشئ العجيب انه مع تكراراه وتلازمه مع حركة الحياة . يبدو وكأنه غائب .. مغيب عن الوعى والادراك . لا يُلتفت إليه . ولا يُتوقف عنده... على اعتبار أن الموت خبر عادى .. ان يموت شو ـ هونج .. أي شو ـ هونج ... فى الصين.. فى كوريا ... فيتنام .. عادى ... عبد الرشيد أو ماما دو.. فى حضرموت أو بوركينا فاسو... عادى ... فيدل وتونى ومارجريت .. فى بلاد الفرنجة ... أيضاً عادى، لا يختلف كثيراً عن خبر حادث سيارة .. أو كلباً عض أحداً ... والاعلاميون يعرفون أن الخبر لايكون مثيراً إلا إذا حدث العكس كأن يقال إن (أحداً) قد عضّ كلباً ... ويصبح أكثر أثارة و... مصداقية اذا كان عن قيام كاتب منافق ونمام بعض حية رقطاء . فماتت عندما يكون هذا (الأحد) - الذى عض الكلب . هو واحد من الفنانين حسب شهرته أو لاعب كره حسب لون فانلته أو واحد من محترفى السياسة حسب مقامه والمنزلة التى فيها و أين يجلس على تلها بعد خرابها ..

كذلك الموت لا يكون خبراً مثيراً إلا إذا طال رأساً ذو حثيثه أو تم بطريقة فجائية دراماتيكية .

الموت العادى... عند المسلم العادى

هو زلزال .. مصيبة ... لاتؤثر إلا فى الدائرة المحيطة من الاهل والاقارب والأصدقاء.. يبدو الموت حينها حالة يتوقف عندها الزمن... وتشل معها الحواس.. ويزرجن العقل و(يهنج) مع أى محاولة للتفسير

ولاتفسير سوى العبارات التقليدية عن الأجل والأسباب... وتقرير الطبيب عن هبوط الدورة الدموية .. أو سكته .. جلطه ونزيف فى المخ.. فشل كلوى.. وكيف حال مريضكم؟؟..

... سليمنا مات

يستمر الحزن .. والدعاء فى حرارة لاتلبث

أن تخفت مع الأيام.. ثم يذهب حماسها مع السنين إلى درجة النسيان. مع الاعتذار الواجب بأنه لولا النسيان ماسمى الإنسان إنسانا.

• فى بلاد بره

هناك يتعاملون مع الموت على أنه (مناسبة) .. لها مراسمها وإتيكيتها.. والتجهيز لها حسب رغبة الزبون وحسب قدرته. كل شئ بثمنه.. التابوت. نوع الخشب. البطانة الحرير. التنجيد.. اللون.. طريقة التأبين.. مطلوب مزيكا أو لأ.. ورْد ... نوعه.... نظام التأبين... منظر الميت راقداً فى التابوت حليق الذقن.. مُمكيج الوجه... لابسا أفخم ثيابه... منظر واحد نائم ... أو ميت (بمزاجه) ... منظر يفتح النفس... فالموت مناسبة... ولولا الملامه - لقلنا بأنها - مثلها - مثل أعياد الميلاد... وينقصها أن يغنى (المحتفلون) .. هابى.. ديث ... تو... يو

(Happy Death To You)

والغرض

والمعنى

أنه مع الموت .. لا توجد مشكلة .. مجرد انتقال فى (سياحة) إلى مكان آخر .. الميت مات.. والحياة مستمرة... مجرد واحد غاب عنا سنفتقده (أى نعم) .. ولكن .... هه.. سننساه

إخواننا العلمانيون .. (الغافلون والمغفلون) .. وأيضاً (موش كلهم) .. أراحوا دماغهم.. - وجابوها من الآخر. باعتناقهم مبدأ عدم التفكير والاهتمام بكل ماهو وراء الطبيعة.. نتعامل مع الواقع وما يقبله ويفسره العقل .. ولا نشغل بالنا بما سواه

إنما هى حياتنا الدنيا

نموت ونحيا

وما يهلكنا إلا الدهر

وهو منطق.. لو فكرنا فيه قليلاً. فإنه - قطعا - لا يدخل (العقل)

أما الإسلاميون

فإنهم أحق الناس معرفة بالموت

الموت لحظة فاصلة

انتقال .. وتحول

نهاية منتهية .. و

بداية ... لاتنتهى

مصير محدد ... وتحدد

الموت عند الاسلاميين هو المتحكم فى حركة الحياة كلها ... والمنظم لإيقاعها... من أهمل ذكره ضاع .. ومن استخف به هلك.. ومن غفل عنه وفقد بوصلته هوى سبعين خريفا.. وأصبح ضيفا مقيما فى أبدية مع الكبراء .. والزعماء ... فرعون (أى فرعون) .. وهامان (أى هامان) .. وستالين.. وبن جوريون..و.. فلان.. وفلان.. (فخامة) فلان .. و(جلالة) فلان.. و(معالى) علان.. و(سمو) ترتان .

الموت غيب .. يلزم الايمان به

وهو مخلوق من خلق الله

﴿ هو الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا ﴾

ولا توجد معلومة عنه. ولما بعده خارج كتاب الله وسنة نبيه

الموت واعظ

وعظه عاصف

يبلغ قمته عندما يقهر كل من ظن - أو ظنوا - أنه في مأمن منه.. متحصن في بروج مشيدة... ويتبين جبروته وهو ينزع حياة من استكبر بالسلطة. واستعلى بالملك. وتربع على عرش الدنيا. وسيطر على مصير البشر. وظن أن القوة دائمة.. والفتوة والصحة لاتبلى ولا تهن ويحكى... التاريخ ويقول

آلاف القصص

نستثني منها حالات الزهاد. وأئمة الفقه الذين من أولها ومن الأساس .. رفضوا الدنيا. واغراءاتها.. وتجنبوا السلطان والاقتراب منه. وفضلوا السجن والابتلاء على ولاية القضاء .. أو حتى المساندة بالفتوى خوفا من الوقوع في المظالم.. استعصوا على (البرمجة) .. ورفضوا تركيب شرائح الكترونية داخل عماماتهم تتلقى إشارات الريموت كنترول كما يحدث في أيامنا.. (تتكلم عن الفقهاء الزهاد الذين اشتروا الآخرة.. وباعوا الدنيا) .

ضرب والي المدينة - جعفر سليمان العباسي - الإمام مالك وحلق له وحمله على بعير في طرقات المدينة وأمره.. فكان الامام ينادي - الا من عرفني.. فقد عرفني أنا مالك بن أنس أقول طلاق المكره ليس بشئ

وهي فتوى سياسية معناها أن البيعة اذا كانت بالاكراه فهي تزوير للإرادة.

وكانوا يضربونه حتى يفقد الوعي

ويقول الامام مالك

- ضربت فيما ضرب فيه سعيد بن المسيب .. ولا خير فيمن لا يُؤذى في هذا الأمر (معارضة ظلم الحكام وتزوير إرادة الناس)

تعرض غالبية الأئمة إلى السجن والتنكيل

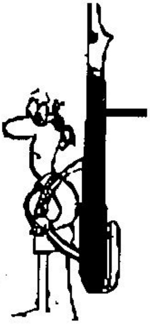

من جراء إصرارهم على ألا يدنسوا عملهم بما يعرضهم لحساب - بعد الموت - هم أكثر الناس معرفة به واستهانة بما قد يجري لهم في الدنيا من عذاب لا يقاس بما ينتظرهم من هول المطلع

وأختار من التاريخ أمثلة من الحكام الذين مارسوا السلطة بكل ما فيها.. عاشوا أبهة الملك.. وبريق السلطة.. كبتوا التاريخ .. وتحكموا في مساره

● الخليفة العباسي .. الذي بلغ من الاتساع أن يخاطب السحابة السابحة في السماء فيقول لها امطري حيث شئت فيسأتيني خراجك.. هذا الخليفة عندما يحين أجله يأمر بالبسط (السجاد) فترفع .. ثم يضع خده على الأرض وهو يهتف في خداعه

يامن لايزول ملكه

ارحم من زال ملكه

"الخليفة المأمون يقول في وصيته

رحم الله عبداً اتعظ وفكر فيما حكّم الله على جميع خلقه من الفناء. وقضى عليهم بالموت الذي لابد منه.. فالحمد لله الذي توحّد بالبقاء. ثم لينظر المرء ما كنت فيه من عز الخلافة. هل أغنى عني شيئاً اذا جاء أمر الله .. لا والله. ولكن أُضْعفَ به عليّ الحسنات.. فياليت عبد الله بن هارون لم يكن بشراً، بل ليته لم يكن شيئاً

البعث حق

وإني مذنب

أرجو وأخاف
فاذا مت فوجهوني.. وليصل على أقربكم نسباً، وليكبر خمساً

• المعتصم .. الخليفة العباسي

المفتون بقوته البدنية حتى أنه جعل زند رجل بين أصابعه حتى سمعوا عظامه تتكسر. وهو صاحب النخوة الذى جرد جيشاً لتحرير امرأة أسيرة استنجدت به صائحة (وامعتصماه).

يقول المعتصم عند موته
حتى أذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة
ذهبت الحيلة .. فليس حيلة
ظل يرددها.. حتى صمت

• معاوية ابن أبى سفيان

فى آخر أيامه ابتلاه الله بالمرض
أصابته اللقوة (شلل يصيب جانب الوجه يعوج منه الفم)..
وتقرح جسده اذا تغطى باللحاف تأذى. فإذا رفعوه عنه ـ شعر بالبرد ـ فيسألهم أن يعيدوه فوق جسده
فقال :
قبحك الله من دار مكثت فيك عشرين سنة أميراً. وعشرين سنة خليفة.. ثم صرت إلى ما أرى
وعندما حضرته الوفاة قال
إن من زرع قد استحصد. وقد طالت إمرتى عليكم حتى مللتكم ومللتموني. ولا يأتيكم بعدى خير منى. كما أن من كان قبلى خير منى. اللهم أحببت لقاءك. فأحبب لقائى هو الموت لامنجى من الموت والذى نحاذر بعد الموت ادهى وأفظع
اللهم أقل العثرة
واعف عن الزلة
وتجاوز بحلمك عن جهل من لم يرج غيرك
فما وراءك مذهب

• عمرو بن العاص

سأله ابنه عبد الله فقال :
- يا أبت انك كنت تقول عجبا لمن نزل به الموت وعقله معه كيف لا يصفه ؟؟.. فصف لنا الموت وعقلك معك
فقال
- يا بنى الموت أجلّ من أن يوصف. ولكنى سأصف لك منه شيئاً .. أجدنى كان على عنقى جبال رضوى
وأجدنى كأن فى جوفى شّوك السّلاء
وأجدنى كأن نفسى يخرج من ثقب إبره
وعندما ثقل عليه المرض سأله معاوية بن حديج.. كيف تجدك؟
قال :
- أذوب ولا أثوب (أضْعف واهزل ولا أعود إلى ما كنت عليه)
وأجد نجوى أكثر من رزنى (ما يخرج منى أكثر مما يدخل)
فما بقاء الكبير على هذا ؟؟
وعندما حضرته الوفاة
بكى
قال له ابنه لم تبكى .. أجزعاً من الموت
قال ... لا.. ولكن لما بعده
قال له ابنه .. قد كنُت على خير. وجعل يذكره صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتوحه فى الشام ومصر

فقال عمرو :

تركت أفضل من ذلك كله... شهادة ألا إله إلا الله

إني كنت على ثلاثة أطباق، ليس منها طبقة إلا عرفت نفسي فيها، كنت أول شئ كافراً. وكنت أشد على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلو مت حينئذ لوجبت لي النار.

فلما بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت أشد الناس منه حياءً. وما ملأت عيني منه. فلو مت حينئذ لقال الناس هنيئا لعمرو أسلم على خير ومات على خير أحواله.

ثم تلبست بعد ذلك بأشياء لا أدرى أعلى أم لي. فإذا أنا مت فلا يُبكى عليّ ولا تتبعوني ناراً. وشدوا على إزاري. فإني مُخاصم. واذا داريتموني فاقعدوا عندي قدر نحر جزور وتقطيعها أستأنس بكم حتى أعلم ما أراجع به رسل ربي.

ثم قال :

- اللهم انك امرتنا ونهيتنا فركبنا فأضعنا

فلا برئ .. فاعتذر

ولا عزيز .. فانتصر

وإلا تدركني برحمتك أكن من الهالكين

لا اله إلا أنت

ثم رفع ابهامه ويظل يهلك حتى توفى

أربعة نماذج من التاريخ

أربعة من حكام المسلمين

لحظة مواجهة الموت والحقيقة

وجاءت سكرة الموت بالحق

ذلك ما كنت منه تحيد

في زماننا هذا

هل يوجد من هو في حلم معاوية

ولا من يضاهيه في سياسته التي جمعت كلمة المسلمين وحافظ على حدود الدولة الناشئة وثغورها المهددة. بل انطلق يغزو. ويتوسع براً و... بحراً.

رغم دوره المعروف في الفتنة الكبرى

وفي زماننا هذا

هل يوجد من هو في مثل أبهة امبراطور الدولة العباسية المأمون ابن هارون الرشيد الذى امتد ملكه حتى حدود العين .. الخليفة الأديب المحارب الذى اتسم عصره برعاية العلم ووفرة الثروة

رغم دوره المشهور في فتنة خلق القرآن

وفي زماننا هذا

هل يوجد من هو في مثل نخوة وشهامة المعتصم بن هارون الرشيد الذى ما إن سمع الاستغاثة من المرأة الأسيرة تناديه (وامعتصماه) .. حتى هب للنجدة والتحرير. غيره وهمة ماتت في هذا الزمن الأغبر. وحلت بدلاً منها (حكمة) هي البلادة. والجبن.

رغم استمراره الخوض في فتنة خلق القرآن

وفي زماننا هذا

هل يوجد من هو في عبقرية عمرو بن العاص. داهية العرب وفاتح فلسطين ومصر وقاهر الروم

رغم دوره المعروف في الفتنة الكبرى

نماذج من حكام المسلمين ماتوا.. وفي سكراته

نادوا ربهم.. طالبين عفوه وغفرانه.. يرجون أن يكون ما قدموه شفيعا لهم في تكفير سيئاتهم. وما خالط عملهم من شوائب اقتضتها ظروف الحكم. وتوازنات السياسة. وهم في النهاية بين يدي الله يحكم فيهم بعدله ورحمته

ولكن ما يعنيا هو العبرة والعظة نسوقها لحكامنا وولاة امرنا

ليسأل كل منهم نفسه ماذا قدم لدينه ولأمة الإسلام وما هو قائل لربه عن بلاد المسلمين المستباح عرضها والمهدر كرامة أهلها. والمسفوح دم ناسها. وتفشي الخيانة والنفاق. والانبطاح. والاستسلام. والتوسل. ورهن ثرواتها تحت رحمة قرار بمصادرتها حيث تتكدس في بنوك الغدر والجشع وحبسها في غير مصالح المسلمين.

ماذا هم قائلون بعد أن فقدوا استقلال القرار إيثاراً لسلامة التبعية. وخضوعاً للهيمنة بعد انكسار الهمة وفقدان مناعة المقاومة حتى صاروا - فعلا - عونا لعدو أمتهم

ماذا هم قائلون لربهم بأستأسادهم على أهلهم ومواطنيهم وسلبهم حريتهم وإرادتهم. وإشاعة الفساد والإفساد بينهم. وضياع حقوقهم. واعتماد الظلم أساساً للحكم.

الأقدمون من حكام المسلمين. بالرغم. وبالرغم. وبالرغم

قدموا ما يمكن أن يكون لهم شفيعاً عند ربهم

فماذا قدم هؤلاء ؟!

نحن الإسلاميون لانتمنى ولا نفرح لموت أي من حكام المسلمين أو زعمائهم ليقابل ربه وظهره ينوء بكل ألوان المعاصي فالموت ينهي حياة إنسان ولكنه لاينهي نظاماً .. والمصلحة في الرجوع إلى الحق. هي أجدى وأنفع للعباد.

والله سبحانه وتعالى لايقفل حساب عبدٍ مالم يغرغر. وما لم تبلغ الحلقوم

فهل يسمح ماتبقى من عمر لتوبه

وهل يدرك الله - من يختار - برحمته، وهدايته

فيرفعوا بلاءهم عن الناس

ويردوا المظالم

ويعيدوا الحقوق

و

هل من أمل؟!

وهل من معجزه؟!

د. أيمن منصور

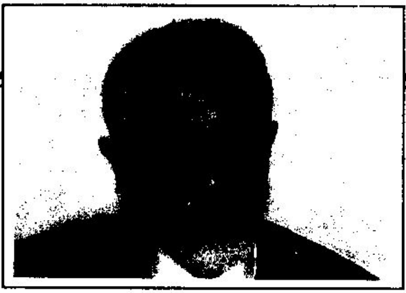

د. محمود عزت.. الأمين العام لجماعة الإخوان المسلمين فى حوار للمختار الإسلامى

- نقاط أساسية حرصنا على توضيحها، مثل ولاية القبطى والمرأة
- حسن الظن هو أفضل السبل لعلاج تضارب التصريحات بين قيادات الجماعة
- مكتب الإرشاد لم يستأثر بالبرنامج والمكاتب الإدارية أوسع من مجلس الشورى
- لم نتعمَّد حجب البرنامج عن أحد والظروف الشخصية للبعض هى السبب

أجرى الحوار: عبد المعز محمد

شهدت الساحة المصرية مؤخراً ما اعتبره البعض حرب تصريحات بين قيادات جماعة الإخوان المسلمين، خاصةً فيما يتعلق ببرنامج الحزب الذى طرحته الجماعة على عددٍ من الكُتَّاب والمثقفين كقراءةٍ أولى، بعضَ قيادات الجماعة قالوا أنهم لم يعرفوا أى شىء عن البرنامج ولم يطلعوا عليه، ومع زيادة التصريحات المتضاربة زادت مساحة الحيرة والقلق عند البعض: فأى التصريحات نُصدِّق ؟ وهل هناك خلافات مكبوتة داخل صفوف الجماعة؟ وهل هناك مَن يستأثر بصناعة القرار داخل الجماعة؟ وكيف خرج برنامج الحزب للنور؟ وهل وافق عليه مجلس شورى الجماعة؟ وهل ممكن أن تُغيِّر الجماعة من موقفها فى النقاط التى أثارها المفكرون والسياسيون حول الحزب ؟

كل هذه الأسئلة وغيرها طرحناها على الدكتور محمود عزت - الأمين العام لجماعة الإخوان المسلمين ، والذى كانت إجاباته كافيةً لغلق كثيرٍ من الملفات التى أُثير حولها الجدل فى الفترة الماضية .

● وفى بدايةِ الحوار سألنا الأمين العام

للجماعة عن التصريحات المتضاربة التي صدرت عن عددٍ من قيادات الجماعة، خاصةً فيما يتعلق ببرنامج حزب الإخوان ؟

●● عندما يصدر أي تصريحٍ عن أحد قيادات الجماعة، فالأصل فينا حسن الظن ببعضنا، مهما كانت لهجة هذا التصريح، ثم علينا بتبين حقيقة ما صدر من خلال الرجوع للشخص الذي صدر عنه التصريح، خاصةً أن لدى الجماعة قواعدَ عامة متفقًا عليها في مثل هذه الأمور، فهناك قضايا متفق عليها ومحسومة في فكر الإخوان، ومنهج الجماعة فيها أنَّ لكلِّ الإخوان الحق في التحدث فيها؛ لأنَّ الرأي فيها محسومٌ ومعروف .

أما القضايا التي تكون محل بحثٍ فإننا نُرجِئ الحديث فيها والتحدث بشأنها حتى يصدر قرارٌ عن الجماعة فيها، فمثلاً إن كان الموضوع فكريًا أو سياسيًا أو في أي قضية فإن مكتب الإرشاد، وهو أعلى هيئة في الجماعة، يُحيله للجانه المختصة لبحثه ودراسته وتقديم الرأي فيه للمكتب، فإن وافق عليه المكتب اعتمده كرأيٍ للجماعة، وهكذا..

● ولكن ألا يمكن أن يحدث تصادمٌ بين صلاحيات المكتب ومجلس الشورى العام مثلاً، أو حتى بين اللجان والأقسام المختلفة !؟

●● لا يحدث مثل هذا التصادم؛ لأن أجهزة الجماعة تتشاور فيما بينها قبل اتخاذ القرار، وسأضرب لك مثلاً، ففي عام ٢٠٠٥م أُثيرت قضية كتابات الأستاذ سيد قطب سواء من خلال بعض التصريحاتِ لعددٍ من الإخوان أو في المقالات التي كان يكتبها عددٌ آخر، بل وحتى من مذكرات شخصية من عددٍ من الإخوان، فيها أن هناك كلامًا للأستاذ سيد يُكفِّر فيه المجتمعَ باعتباره مجتمعًا جاهليًا، وأنَّ هذا الكلام كان له تأثير على جماعات أخرى غير الإخوان أدَّت إلى انتهاجها منهج العنف .

وعندما ناقش مكتب الإرشاد هذه القضية قرر إحالتها لقسم التربية؛ حيث إنه القسم المهتم بفكر الجماعة، وللإخوان الذين عاصروا الأستاذ سيد قطب، وخاصةً الذين تعاملوا معه بشكلٍ مباشر، وبعد دراسة مستفيضة للموضوع وافق مكتب الإرشاد، وأعلن المرشد العام الأستاذ محمد مهدي عاكف موقف الجماعة؛ حيث قال إن كلام الأستاذ سيد قطب لم يخرج عن فكر الإخوان، وإن الإخوان عندما بدأ الأستاذ سيد كتابه في أثناء وجوده في السجن كانوا يراجعونه، وقد التقى الأستاذ عمر التلمساني - رحمه الله - الأستاذَ سيد قطب في سجن ليمان طرة، وسأله أسئلةً محددةً، وفي النهاية رأت الجماعة أن الأستاذ سيد قطب لا يحمل فكراً مخالفًا لتوجهات الجماعة، وأنه يؤمن بما قاله الأستاذ البنا في رسالة التعاليم.. "لا نُكفِّر مسلمًا - أقرَّ بالشهادتين وعمل بمقتضاهما وأدَّى الفرائض - برأيٍ أو بمعصية، إلا إن أقرَّ بكلمة الكفر، أو أنكر معلومًا من الدين بالضرورة، أو كذَّب صريح القرآن، أو فسَّره على وجهٍ لا تحتمله أساليب اللغة العربية بحالٍ، أو عمِل عملاً لا يحتمل تأويلاً غير الكفر".

وقد أضاف الأستاذ عاكف أنه إذا تلقَّى كتابات الأستاذ سيد مَن عنده قسطٌ من العلم أو ميزان سليم فسيستفيد منه استفادةً كبيرة، أما الذين ليس لديهم هذا القسط، فربما يخرجون بجهلهم عن المراد الذى كتبه الأستاذ سيد قطب.

وهذا الموقف من الإخوان ليس وليد عهد الأستاذ عاكف فقط، بل إنَّ كلَّ المرشدين السابقين كان لهم نفس الموقف، وأذكر أنه فى سنة ١٩٧٠م كنتُ مسجونًا فى سجن قنا، وقد أرسل لنا الأستاذ حسن الهضيبى- رحمه الله- ، وكان مسجونًا فى سجن مزرعة طرة بحثه الذى تحوَّل لكتابٍ شهيرٍ وهو "دعاة لا قضاة"، وبعد أن درسنا البحث أثار عندى وعند بعض الإخوان سؤالاً.. هل نقرأ كتب الأستاذ سيد قطب أم لا؟ وبالفعل أرسلتُ بذلك للأستاذ الهضيبى، وجاءنا رد فضيلته بأن نقرأ كتب الأستاذ سيد قطب، ولكن علينا بالضوابط التى جاءت فى بحث "دعاة لا قضاة".

وهذا الموقف وغيره يدلل على أن الجماعةَ لها موقف واضح من القضايا التى تُعرَض عليها ولا تصدر رأيها إلا بعد الدراسة والتشاور.

● هذا ما يتعلق بالقضايا الفكرية.. فماذا عن القضايا السياسية ؟!

●● المنهج واحد، ولكن المؤسسة المعنية أو القسم الذى يُحال له الموضوع هو الذى يختلف، فمثلاً فى موضوع التعددية الحزبية، وحتى تصدر الرسالة الموجودة حاليًا كان هناك بحث من الفقهاء الشرعيين والقانونيين والدستوريين، بل إنَّ مكتبَ الإرشاد فى مصر طرح هذا الموضوع على عددٍ من العلماء على مستوى العالم الإسلامى مثل الشيخ فيصل مولوى فى لبنان وعدد من علماء وفقهاء الشريعة فى الأردن وغيرهم.

وكانت الخلاصة التى عادت إلينا فى مصر أنَّ التعددية الحزبية مثل تعدد المذاهب فى الفقه الإسلامى، وهو ما أشار إليه الدكتور يوسف القرضاوى، وهذا الرأى اعتمده مكتب الإرشاد وأحاله إلى مجلس شورى الجماعة فى مصر الذى أقرَّ المبدأ وترك لمكتب الإرشاد تحديد الوسيلة والوقت المناسب لتطبيق هذا المبدأ.

فكرة منذ ٢٠ عامًا

● هل أخذ برنامج الحزب نفس هذه الآلية ؟

●● كما أشرتُ لقد سبق لمجلس الشورى عند إعداد وثيقة التعددية الحزبية الموافقة على المبدأ وترك لمكتب الإرشاد التنفيذ، وبالتالى فإن الفكرة مطروحة عند الجماعة منذ أكثر من ٢٠ عامًا؛ ولأننا لا نعتبر التعددية الحزبية والسياسية مجرَّد تكتيكًا سياسيًا نستخدمها وقت أن نريد ونرفضها عندما نهوى، فإننا أوضحنا موقفنا من مبدأ التعددية فى وثيقةٍ رسمية، وهى مسألة نعتبرها دعوية فى المقام الأول، وليست سياسيةً حسب مفهوم بعض المثقفين، ودعوتنا أوجبت علينا استخدام الوسائل كافة لنشرها؛ ولذلك كان التفكير فى موضوع الحزب.

●هل معنى ذلك أنه فى أثناء مناقشة

فكرة التعددية طُرحتْ قضية حزب الإخوان ؟

●● عندما أقررنا مبدأ التعددية الحزبية أصبح الحزب وسيلةً مشروعة، وعلينا أن نسعى إليها في المجال السياسي، باعتبار أن هذا المجال أحد مجالات العمل داخل الجماعة.

● ولكن البعض يرى أن فكرة طرح الحزب كانت رداً متسرعًا من الجماعة للرد على حملة التصعيد الأمني ضد الجماعة، والتي تمثَّلت ذروتها في اعتقال المهندس خيرت الشاطر النائب الثاني للمرشد العام ؟

●● بعد خروج الإخوان من السجون في السبعينيات عاد النشاط والعمل في كل المجالات الاجتماعية والسياسية فزاد التفاف الشعب المصري حول الإخوان فأقلق ذلك النظام، ومع بداية التسعينيات واجه النظام الإخوان بالعسف، والسجون منذ عام ١٩٩٢م، والسجون المصرية لا تخلو من الإخوان، إما من خلال الاعتقالات أو المحاكمات العسكرية، وذروة التصعيد كانت عام ١٩٩٥م؛ حيث تم إحالة عددٍ كبيرٍ من قيادات الجماعة وأعضاء مكتب الإرشاد إلى المحكمة العسكرية وحصلوا على أحكامٍ قاسية لمددٍ مختلفة؛ ولذلك فإن ربط الإعلان عن برنامج الحزب كردِّ فعلٍ على الاعتقالات كلامٌ غير صحيح، وقرار الإخوان كان واضحًا، وهو إعداد البرنامج وعدم التقدم به للجنة الأحزاب بشكلها الحالي؛ لأنها لجنة لمنع تأسيس الأحزاب.

إضافةً إلى أن برنامج الحزب أو إن جاز التعبير "البرنامج السياسي للجماعة" جاء استجابةً لمطالبِ العديدِ من السياسيين والمثقفين، بل وبعض الإخوان بضرورة أن يكون لنا برنامجٌ يُوضِّح كيف يكون "الإسلام هو الحل" في كلِّ القضايا والمجالات، وهو يعد وثيقةً تُوضِّح فكر ومنهج الإخوان، واستشرافها لمستقبل العمل السياسي في مصر؛ ولذلك رأينا أن نضعه منهجًا أو برنامجًا نعرضه على الأمة ؛ ولذلك تمَّ صياغته بهذه الصياغة التي تتكلم عن الأصول والمنطلقات، كما تتحدث عن كافة الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية ؛ ولذلك لم نستهدف في البرنامج السياسيين أو الحزبيين فقط، وإنما الأمة كلها؛ لأن هدفنا هو أن يكون للأمة كلها، ولهذا طرحناه على السياسيين والمثقفين وأصحاب الرأي لنستقبل منهم نصائحهم فيما كتبناه مع عدم التخلي عن ثوابتنا وأصولنا.

● ولكن هناك من داخل الإخوان مَن يرى أن مكتب الإرشاد، وبالتحديد مجموعة معينة هي التي استأثرت بالبرنامج ؟

●● هذا ليس صحيحًا على الإطلاق؛ فما حدث أن المرشد العام كلَّف لجنةً بإعداد البرنامج، وضمَّت هذه اللجنة عدداً من السياسيين والقانونيين وأصحاب العلم الشرعي، وحصيلة ما أثمرته هذه اللجنة عُرِضَ على مكتب الإرشاد، وعُقدت جلسات خاصة داخل المكتب لهذا الأمر، وكان للمكتب ملاحظات أُعيدت للجنة، فقامت اللجنة بتعديلها ثم عرض البرنامج بعد التعديلات على المكتب مرةً أخرى، وعُقدت جلسات خاصة لأعضاء المكتب لمناقشة هذا البرنامج، ثم كانت هناك ملاحظات أخرى للمكتب بعد

هذه الجلسات أخذتها اللجنة، وتمَّ تعديل البرنامج للمرة الثانية، ثم عُرِضَ على مكتب الإرشاد الذى أصدر قراراً بعرض البرنامج على المكاتب الإدارية فى كلِّ المحافظات، وهذه المكاتب المنتخبة تضم أعضاء مجلس شورى الجماعة إضافةً إلى قيادات ومسئولى الجماعة فى المحافظات.

وهو ما يُعيدنا إلى سؤالك السابق بأن مجلس الشورى بهذا الشكل قد وافق ليس على فكرة البرنامج فقط وإنما على البرنامج نفسه، وقد كان للمكاتب الإدارية العديد من الملاحظات التى صبَّت عند اللجنة مرةً أخرى، وتم ضم بعضها والاستفادة من البعض الآخر بعد جدولتها وتصنيفها بشكلٍ فنى.

ثم صدرت نسخة البرنامج فى شكلها الحالى، ووافق مكتب الإرشاد على إرسالها لعددٍ من الكُتَّاب والسياسيين والمثقفين بخطابٍ خاصٍّ لكلِّ شخصيةٍ مُوقَّعة من فضيلة الأستاذ محمد مهدى عاكف، وتمَّ الاتفاق على أن تكون هذه النسخة قراءة أولى وليست نهائية، وطلبنا من هذه الشخصيات أن تُرسل لنا ملاحظاتها، وبالفعل أرسل البعض ملاحظاته لمكتب الإرشاد مباشرةً، بينما فضَّل البعضُ الآخر إبداء رأيه فى مقالاتٍ بالصحف أو آراء فى وسائل الإعلام المختلفة، وعندما تكتمل لدينا كل الملاحظات سنقوم بعقد سلسلة من جلسات الاستماع والمناقشة المتخصصة للاستفادة من هذه الآراء معتمدين على القاعدة العامة "الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها."

ولاية القبطى والمسلم

• ما أبرز الانتقادات التى وُجِهت للبرنامج ؟

•• بعدما أرسلنا النسخ لهذه الشخصيات جاءنا أحد أصحاب الفكر الذين نُقدِّرهم، وهو بالمناسبة غير مسلم، وأكد لنا أنه من خلال لقاءاته ومناقشاته مع عددٍ من المفكرين والكُتَّاب والمثقفين، من قبل عرض البرنامج وبعد عرضه أنهم يرون أن الإخوان غير واضحين فى عددٍ من القضايا تتعلق بممارسة الديمقراطية، والموقف من الإخوة الأقباط وبعض الموضوعات الأخرى، وعلى أثر ذلك حدد المكتب ٦ نقاطٍ تمَّ توضيحها فى البرنامج وهى :

- نظام الدولة هل هو رئاسى أم برلمانى أم رئاسى برلمانى (النظام الفرنسى)
- ولاية غير المسلم لرئاسة الدولة
- ولاية المرأة لرئاسة الدولة
- الموقف من المعاهدات الدولية وتحديداً من "إسرائيل"
- مجانية التعليم
- الموقف من وضع مجلس الشورى المصرى، وهل يُضمُّ لمجلس الشعب ويصبحا غرفةً واحدةً أم يكون له اختصاص ويكون التشريع من خلال غرفتين.

وقد عُرضت هذه النقاط الستة على مكتب الإرشاد، وقرر حسم ٥ منها وترك النقطة السادسة لوقتها؛ باعتبار أن الظروف السياسية قد تشهد تغيُّراً، وكان القرار كالآتى:

- فى مسألة نظام الدولة اخترنا النموذج الفرنسى: أى النظام الرئاسى البرلمانى، وهو الأنسب لمصر الآن.

- ما يتعلق بولاية غير المسلم لرئاسة الدولة رأينا أنه لا يجوز رئاسة الدولة لغير المسلم، بينما يحق له تولى المناصب الأخرى كافة، وهو ما يدخل فى قاعدة "لهم ما لنا وعليهم ما علينا"، وهذا هو إجماع الفقهاء على مرّ العصور.

- وهو نفس الأمر فى موضوع المرأة؛ حيث يجوز لها المناصب كافة عدا الولاية العامة المتمثلة فى رئاسة الدولة، وهذا هو رأى جمهور الفقهاء على مرّ العصور.

- أما المعاهدات الدولية وخاصةً "كامب ديفيد" فإن موقف الإخوان من المعاهدة لم يتغير، وأن فلسطين ليست ملكًا لشعب فلسطين وحده، وإنما هى ملكٌ لكلّ العالم العربى والإسلامى، ولا يجوز لأحدٍ أن يتنازل عن شبرٍ واحدٍ منها، أما باقى المعاهدات فنحن نحترمها، وكامب ديفيد مثلها مثل بقية المعاهدات خاضعة لآلية التعديل والإلغاء كما ينص القانون الدولى.

- وفى قضية مجانية التعليم كان رأينا أن المجانية تكون حتى نهاية الدراسة الثانوية، ويجب على الدولة توفير الإمكانات للشعب كله، أما المرحلة الجامعية فعلى الدولة أن تُعطى الفرصةَ لأصحاب التفوق العلمى ثم تستعين بمؤسسات المجتمع المدنى لتحقيق هذا التعليم لبقية فئات الأمة سواء كانت من خلال شركات استثمارية أو وقف إسلامى أو جمعيات خيرية.

- وفى موضوع مجلس الشورى فإننا تركنا حسمه للوقت الموجود فيه، وطبقًا لتغير المناخ السياسى.

لجنة العلماء

● ولكن ألا ترى أن فكرة هيئة كبار العلماء ترجمة أخرى لولاية الفقيه المعمول بها فى إيران؟ وهو ما يعيدنا إلى الدولة الدينية ؟

●● هذا غيرُ واردٍ على الإطلاق، وارجع للنص الموجود فى القراءة الأولى للبرنامج التى تمَّ توزيعها على المثقفين والسياسيين، بل إنَّ هذا الفهم قد استغربه عددٌ غير قليل من المثقفين، وأعتقد أن السبب فى هذا الفهم الخاطئ يرجع لعدم وضوح معنى المرجعية الإسلامية لدى بعض المثقفين داخل مصر وخارجها، وكذلك عند بعض الصحفيين الأجانب، وهو ما جعلهم يتصورون خطأً، أو أن يتعمد بعضهم ترويج هاجس أن هناك فئةً اسمها هيئة كبار العلماء ستكون هى الوصية على المجلس التشريعى، وهى التى ستقرر وترفض التشريعات حسبما تراه.

وعلى العموم فهناك أصل اتفق عليه عموم الشعب المصرى، وهو أن مبادئ الشريعة الإسلامية هى المصدر الأساسى للتشريع، وهذا ما أقرَّه الدستور، أما ما جاء فى البيان فهو مجرَّد آلية يتخذها المجلس التشريعى ورئيس الجمهورية لتحرى تطبيق الدستور، بطلبهم من هيئة ما الرأى الشرعى الراجح، ليعينهم على إصدر التشريع موافقًا للدستور، والمجلس

التشريعي وحده- كما جاء في البرنامج- هو صاحب الحق في التشريع، وكل ما اشترطه البرنامج أن تكون هذه الهيئة منتخبة من العلماء، ومدعمة بالمختصين في كل المجالات، وإذا كان مجمع البحوث الإسلامية منتخبًا فإن الإخوان لا يتمسكون باسم هذه الهيئة، فالأمر عندهم سواء كانت هذه الهيئة هي مجمع البحوث الإسلامية أو هيئة استشارية أو هيئة كبار العلماء، فكما ذكرت هذه الهيئة مجرَّد آلية لتطبيق الدستور.وهناك توضيح آخر، وهو ألا ينقض أي تشريع إلا المحكمة الدستورية العليا، وهذا أيضًا ما جاء في البرنامج؛ ولذلك فمسألة ولاية الفقيه غير واردة على الإطلاق في فكر الإخوان، بل وفكر كل أهل السنة .

● ولكنَّ هناك عدداً من قيادات الجماعة البارزين أكدوا أن البرنامج لم يُعرَض عليهم بالفعل ؟..

●● كما أشرت فإننا نُقدِّم حسن الظن، ولم يحدث أن استُبعد أشخاصٌ بعينهم كما يقول البعض، وأعتقد أن مَن يقول أنه لم يطلع على البرنامج فقد يكون ذلك لظروفٍ شخصيةٍ متعلقةٍ به وليس لموقفٍ ضده.

● هل هناك موعد زمني محدد للإعلان عن برنامج الحزب بشكلٍ نهائي ؟..

●● لا نستطيع تحديد موعدٍ محدد؛ لأن هذا الموضوع متعلقٌ بردود إخواننا المثقفين والسياسيين الذين أرسلنا لهم نسخة القراءة الأولى، حتى نستطيع الانتهاء من الملاحظات كافة، ويتم صياغة البرنامج بشكلٍ نهائي، وأعتقد أن ذلك قد يستغرق عدة أسابيع.

تهنئــة

الأخ الحبيب/ الدكتور مصطفى الغنيمي

من كل قلوبنا نهنئ وبكل مشاعرنا ندعو ونبارك

تضاعفت فرحتنا وسعادتنا الأولى بفك الله أسرك والثانية بزفاف الأبناء الأعزاء

إيمان وعمرو .. ندعو الله أن يبارك لهما ويبارك عليهما وأن يجمع بينهما في خير .. اللهم آمين

أسرة أخوكم

محمد السروجي

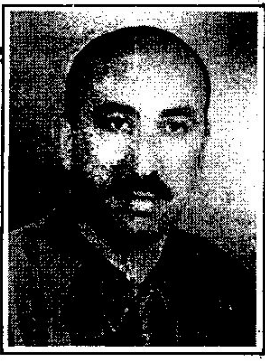

برنامج الإخوان ودولة مدنية لها دين

مازال السجال الدائر حول القراءة الأولى لبرنامج حزب الإخوان سارى المفعول بين مؤيد ومعارض ومتحفظ ومازال مؤشر الإعلامى الحكومى والمعارض والمستقل متجه إليه ما لم تصدر تعليمات أو تعقد صفقات لتحويل المؤشر خوفاً من الانصراف عما يسمى بإنجازات مؤسسة الحكم بجناحيها الحزبى والحكومى . وأيضاً مازال الخلط قائماً بل ومتعمداً فى القضايا الثلاث الساخنة وهى :

● الخلط بين اقتراح هيئة كبار العلماء ودورها الاستشارى أو الملزم وبين الدولة الدينية بالمفهوم الغربى الذى يرفضه الإخوان الذين يؤكدون على مدنية الدولة

● الخلط بين عدم تولى غير المسلم منصبى رئاسة الدولة ورئاسة الوزراء وبين ملف الأقباط عموماً، بل تم استدعاء موضوع الجزية وأمور خلافية حسمها الإخوان لصالح مبدأ المواطنة وهذا معلن ومكتوب

● الخلط بين عدم تولى المرأة منصب رئاسة الدولة وبين توليها الوظائف العامة وسيبقى هذا التداخل والالتباس قائماً ولأسباب عدة منها :

●● المرجعية الفكرية والعقدية فى التناول

●● المناخ السياسى بل والعام المشحون وغير الآمن، والذى شكل نوعاً من الضغط والابتزاز الفكرى لبعض النخب الموضوعية والمحايدة خوفاً من اتهامهم بموالاة الإخوان أمثال الأساتذة ضياء رشوان وفهمى هويدى وغيرهم

●● موقف النظام الحاكم من الإخوان وحالة الإقصاء بل والاستنزاف المتعمد، والذى توظف فيه كافة الأوراق والأدوات

الإخوان ما لهم وما عليهم

وسط هذا الصخب والضجيج فى تناول الرؤى الفكرية والسياسية يحسب للإخوان عدة نقاط :

●● الوضوح والشفافية فى عرض رؤاهم السياسية خاصة النقاط الحرجة منها، والتى من المتوقع أن تحدث جدلاً واسعاً وقد كان

●● عدم الأخذ بما يسمى التقية السياسية فى عرض أفكارهم احتراماً لعقول وحقوق المؤيدين بصفة خاصة وجماهير الأمة بصفة عامة

●● الاعتزاز بالمرجعية الإسلامية رغم ردود الأفعال الغاضبة والصاخبة بل والإرهاب الفكرى الذى يمارس ضدهم

●● الاستعانة بعدد غير قليل من عموم المفكرين فى التخصصات المتنوعة لاستطلاع رؤيتهم فى البرنامج المسمى بالقراءة الأولى وهى دلالة على استعداد الإخوان للتعديل بالإضافة والحذف

كما يؤخذ عليهم عدة نقاط :

●● وجود أكثر من نص مكتوب لرؤية الإخوان السياسية (قد تكون الأوراق الأولى أو العصف الذهنى وغير ذلك) مما أوهم البعض أن هناك حالة تضارب واختلاف فى رؤى الإخوان أنفسهم، بل تطوع أحد كبار الكتاب متهماً أن الإخوان ليس لهم رؤية سياسية محددة وواضحة

●● عدم تناول البرنامج بين عموم الإخوان بشكل واسع لإيجاد حالة من القناعة الفكرية تصاحب الولاء والمشاعر العاطفية والاكتفاء بالرموز السياسية أو المهتمين بالشأن العام

دولة مدنية لها دين

● الدولة فى رؤية الإخوان مدنية بالمفهوم الوسطى المعتدل، والذى لا يصطدم مع ثوابت الأمة، ليست دولة دينية بالمفهوم الغربى القديم حيث سيطرة رجال الدين على مقدرات وموارد وعقول وإرادة الأمة وليست دولة لادينية بالمفهوم الغربى الحديث حيث حالة العداء ليست مع الأديان فقط، بل مع الله سبحانه وتعالى

● الدولة فى رؤية الإخوان تحترم وتعتبر

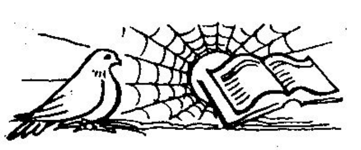

الإنسان ككيان متكامل روحاً وعقلاً وجسداً وليست دولة تختصم القيم والعقائد والشعائر تعطل الصيام ؛ لأنه يقلل الإنتاج (كما قرر بورقيبة حاكم تونس السابق)

● الدولة فى رؤية الإخوان الكلمة العليا فيها للشعب والقانون ومؤسسات الدولة وليست لمجموعة من المغامرين الجدد أصحاب الثروة الذين زوروا إرادة الأمة ونهبوا ثرواتها واحتكروا مواردها وأفسدوا ذمم وأخلاق أبنائها

● الدولة فى رؤية الإخوان العدل فيها أساس الملك وليست الدولة التى نهى عنها الرسول، صلى الله عليه وسلم، والتى إذا سرق فيها الشريف تركوه وإذا سرق فيها الضعيف أقاموا عليه الحد والقانون

● الدولة فى رؤية الإخوان يحكمها أحد أبنائها جاء بالانتخاب الحر المباشر ليتحمل المسئولية القانونية والشرعية يحاسبه شعبه ويخشى هو حساب الله يوم القيامة، يقول كما قيل من قرون لو عثرت بغلة فى العراق لسألنى الله لمَ لم أمهد لها الطريق، وليست لحاكم يأتى بالتزوير والبطش الأمنى ويملك صلاحيات وسلطات لا يملكها البشر فيهمش المؤسسات ويعطل القانون ويحبس المعارضين ويقرب الموالين ويؤمم الشركات ويصادر الأموال !! لا يحاسبه أحد ولا يسائله أحد !! إخلالاً بمبدأ التوازن بين السلطة والمسئولية !!

هذه الدولة التى نريد . مدنية لكن لها دين.

محمد السروجى/ باحث سياسى
مدير مركز الفجر للدراسات والتنمية
M_srogy@yahoo.com

لغز الحركة القومية

في خضم الانتخابات التركية الأسبوع الماضي وبعيداً عن كل الكلام الذي قيل حول الفوز الساحق لحزب العدالة والتنمية وانهيار مجمل الأحزاب العلمانية التقليدية منها والحديثة برز مايمكن تسميته بلغز يتعلق حول حزب الحركة القومية التي حققت نتائج لا بأس بها في تلك الانتخابات البرلمانية مكنته من تحقيق الدخول للبرلمان بعد تجاوز النسبة المقررة. ويوصف الحزب بأنه صاحب توجه قوي متعصب وأن القضية الأولى التي تشغله ليست هي قضية العلمانية مثل باقي الأحزاب التركية ربما باستثناء حزب العدالة والتنمية إلى حد قليل هي قضية الأكراد وضرورة القضاء على مايسمى بالتمرد الكردي داخل تركيا ولو بضرب الأكراد في العراق كما أن الحزب تشغله قضية العودة إلى مجد تركيا القومي القديم ويعطي الأولوية لإحياء العلاقة مع الشعوب التركية التي تمتد عبر منطقة القوقاز ووسط آسيا حتى غرب الصين وبعد ذلك تعطي الأولوية لتعميق العلاقة مع الشعوب الإسلامية. وبجانب صفر الأولويات يرى الحزب عدم الدخول في الاتحاد الأوروبي على العكس من سياسة الأحزاب التركية الأخرى الثانية وفي مقدمتها حزب العداله والتنمية الموصوف بأنه ذي ميول إسلامية. والهدف من وراء عدم السعي إلى الدخول في

د. محمد يحيى

الاتحـاد الأوروبى وفق رؤية حـزب الحـركـة القومية هو التركيز على إحياء أمجاد الدولة التـركيـة القـديمـة وليس بالضـرورة الدولة العثمـانية وإن كان هناك تطابق بالفعل بين الإثنين. ولكن حـتى الآن لم ندخل فـيـمـا أسميـتـه بلغز حزب الحركة القومية. وهذا اللغز هو التركيز الإعلامى الغربى والعربى على هذا الحـزب واعـتـبـاره قـبـل إجـراء الإنتـخابات بمثابة البديل الأساسى عن حزب العدالة والتنمية أو على الأقل المنافس الرئيس له وهو مالم يحدث .

اللغز هنا هو أن الإعلام الغربى والعربى أبدى التعـاطف الشـديد مع هذا الحـزب رغم أفكاره التى يفترض أنها معادية للغرب بكل وضوح ولم يبدى أى قدر من التعـاطف مع الأحزاب العلمـانيـة التـقليـدية التى هى بكل تأكيد تميل للغرب وتندرج فى إطار سياساته وأهدافـه. هذا هو اللغز .. ويمكن تفسـيـره مبدئياً على أن الإعلام الغربى وأجهزة الإعلام العربية بل والسياسات العربية التابعة تدرك أن الأحزاب العلمـانيـة التـركيـة التـقليـدية والحديثة كلها قد فشلت واستخدمت ولم تعد تمثل شيئاً فى السيـاسة التركيـة وأن البديل الوحيـد المعقـول لحزب العدالة والتنميـة الذى يخشاه الغرب أو يقول أنه يخشـاه هو حزب الحركة القوميـة الذى بدا أنه ممكن أن يتحـول إلى منافس لحزب العدالة. لكن هذا التفسير قد يكون صحيحاً من الناحية السطحية فقط رغم وجاهتـه .. فالسر وراء التأييـد أو على الأقل التـعاطف والاهتـمام الغربى (حتى فى الحدود الإعلامية) مع حزب واضح أنه يسـير فى الاتجاه المضاد من كل السياسات الغربيـة (وأعنى بذلك التركـيز على القوميـة ورفض الغرب والتوجه ناحيـة القوميات والشـعوب الإسلاميـة بجانب رفض الرأسمالية) هو أن أفكار حزب الحركة القوميـة تخدم توجهات غربيـة أعمق بكثير من تلك التى ترفضها أو تواجههـا. فـتـوجه الحزب نحو رفض الدخول للاتحاد الأوروبى يخدم الاتجاه الأوروبى العام فى رفض دخـول دولة غـيـر بـيـضـاء وغـيـر مسيحية وآسيوية العنصر والجغرافيا داخل ذلك النادى الغربى .. كما أن التوجه القومى المتطرف يسـمـح لأوروبا بإيجـاد مـبـرر أكـبـر لرفض إدخال تركيا إلى اتحادها أما التوجه الصدامى الحاد مع القومية الكردية وبعد ذلك ربما مع قـوميـات أخرى مجـاورة فـهـو يخـدم الهـدف الغربى الاستـراتيـجى فى إشعال نيـران الصـراعـات والفرقـة على شـتى المحـاور فى المنطقـة الإسلاميـة بما يتـيـح التـدخل الغـربى السـيـاسى والعـسكرى من أوسع أبوابـه وهو

هدف استراتيجي لهم يعلو على غيره من الأهداف .

التبشير الكوري !!

كانت حادثة اختطاف الأشخاص الكوريين في أفغانستان وما أعقبها مناسبة لوسائل الإعلام لكي تتحدث عن قضية لا يعرف بها أحد في العالم العربي والإسلامي وهي قضية قيام أعداد كبيرة من الكوريين الجنوبيين بالسفر إلى خارج بلادهم وإلى بعض الدول الإسلامية للقيام بالتبشير أو التنصير لحساب كنائس مسيحية بروتستانية قائمة في تلك البلاد والتي قدرت محطة فرنسا ٢٤ ساعة التلفزيونية الفضائية أعداد المنصرين في نشاطاتها بحوالي ثمانية ملايين شخص وهو رقم كبير في بلد كان بوذياً بالأساس .

وفي تحقيق أذاعته تلك المحطة جاء أن تلك الكنائس الكورية آخذة في النمو والقوة الداخلية إلى حد أن أحد المرشحين في انتخابات العمودية للعاصمة سيول وهو كذلك مرشح متوقع لرئاسة البلاد صرح مؤخراً بأنه يعمل على وضع العاصمة تحت الصليب وفي أحضان المسيح وهو ما أثار حفيظة وتوجس الكوريين ومعظمهم من اتباع الديانة البوذية. وفي نفس التحقيق أجرت المحطة مقابلة مع سيدة تقيم جمعية لمتابعة نشاطات تلك الكنائس الكورية ولا سيما في مجال التبشير الخارجي فذكرت تلك السيدة إلى أن مئات إن لم يكن الآلاف من المبشرين والقساوسة والشباب التابع لهم يسافرون للخارج سنوياً لإجراء هذه الأنشطة، وأنهم يتلقون تمويلاً كبيراً من كنائسهم ومن الخارج لهذا الغرض كما أنهم يتبعون وسائل فجة ومبتذلة لإتمام عمليات التنصير المفترض والذي يشمل البوذيين والمسيحيين من أتباع الكنائس الأخرى .. وأضافت السيدة أن هؤلاء لا يتورعون عن تسجيل أعداد وهمية من الأشخاص على أنهم تنصروا لأنهم يحاسبون حسب الرأس الواحدة! وطاف التحقيق في جولة على بعض هؤلاء المبشرين مظهراً تحمسهم وتعصبهم لأداء المهمة كما سجل شكوك ومخاوف العديد من البوذيين وكهنتهم الذين تحدثوا عن وسائل عدوانية يقوم بها هؤلاء المبشرين .

وما يهمنا هنا هو أن وسائل الإعلام وأصحاب الرأي في العالم الإسلامي قد انشغلوا خلال حادثة خطف المبشرين ثم إطلاق سراحهم بنفس المسائل التقليدية التي فيها عادة عقب كل حادثة في هذا النوع ولم يكلف أحد منهم مهمة البحث في جذور المشكلة أو أبعادها الخفية والمهمة والكاشفة كما فعلت المحطة التلفزيونية الفرنسية التي كان يفترض أن تستغل المشكلة للهجوم على المسلمين لكنها لم تفعل، بل اختارت الأسلوب المهني الرصين بدل المهاترات الانفعالية التي لا تفيد .. لقد انشغل الإعلام العربي كما جرت العادة

بالهجوم على طالبان (وحتى للأسباب الخطأ) كما انشغل بعض الكتاب بالمواضيع الدفاعية المكررة المتحدثة عن سماحة الإسلام ووصل الأمر ببعض الكتاب إلى التغزل فى الفتيات الكوريات المحتجزات ووصفهن بالوردات البريئات الواقعات فى قبضة المتوحشين.

ولم يهتم أحد بطرح السؤال الرئيسى فى هذا المجال وهو مغزى وصول مبشرين من بلد غير مسيحى أصلاً ولا تاريخ له يذكر فى المسيحية لكى يقوموا بالتنصير فى بلد إسلامى عريق فى إسلامه وله تاريخه وباع طويل فى الإسلام وهم يقومون بذلك مستغلين وجود احتلال أجنبى غربى أمريكى سافر .. لم يطرح السؤال حول العلاقة بين هؤلاء المبشرين وأمثالهم وبين ذلك الاحتلال وأهدافه والحكومة التى نصّبها على البلاد كما لم يهتم أحد بالسؤال حول الدافع الذى حدا بهؤلاء على وجه التحديد إلى العمل فى جنوب البلاد فى وقت تنشط فيه حركة الطالبان هناك ولم يطرح سؤال حول التخفى وراء ستار الأعمال الإنسانية، ولم تطرح بالطبع الأسئلة الأهم والأوسع مثل طبيعة التغير الذى طرأ على النشاطات التنفيذية فى العالم الإسلامى عن طريق استخدام عناصر غير أوربية ولا بيضاء، بل آتية من بلدان مجاورة للبلدان الإسلامية المستهدفه لكى تقوم بعملية التنصير ربما على أمل أن تكون الكفاءة مضاعفة. كذلك لم يتساءل أحد حول المغزى فى أن تسمح كوريا الجنوبية حيث الغالبية البوذية وأقلية مسيحية فى أراضيها بأن تخرج لنشر دينها خارج البلاد وفى الوقت الذى تحرم فيه بلدان فى قلب العالم الإسلامى الدعوة داخل أراضيها ومن جانب مواطنيها، بل وتتشدد فى هذا المنع وتغلو فيه إلى حد أن تمنع الأعمال الخيرية فى شهر رمضان كما حدث فى أكثر من بلد عربى مؤخراً. ويبدو أن التطور فى استخدام الجنسيات غير البيضاء فى أعمال التنصير هو أمر مستمر ومتوسع مع الأنباء الأخيرة التى ذكرت أن الكنيسة الأرثوذكسية القبطية قد أقامت فى أمريكا ما وصف بالقرية القبطية التى يشرف على كنائسها كهنة من أبناء جزر البحر الكاريبى قد تحولوا إلى هذا المذهب. وتلك قصة أخرى.

المهزلة الهولندية

فى الأسابيع الماضية خرج أحد نواب البرلمان الهولندى ليطالب بحبس المسلمات المنتقبات والمحجبات بالإضافة إلى تجريم الحجاب. وفى الأيام الماضية خرج رئيس ما يسمى بحزب الشعب فى هولندا يدعو إلى منع وتجريم القرآن الكريم فى هولندا بعد أن وصفه بالكتاب الفاشى. وفى هذه المهزلة الهولندية الجديدة التى آتت بعد مهازل أخرى دانماركية وألمانية وفرنسية وإيطالية، بل وحتى قرغزية (بعد حكم محكمة فى ذلك البلد يحظر الحجاب فى

المعاهد التعليمية) كان هناك تطور جديد لافت للنظر في العالم العربي والإسلامي وهو أنه لم يصدر احتجاج واحد من أي مستوى رغم فظاعة التجرؤ والذي بالقطع يزيد حدة عن حكاية الرسوم الكاريكاتيرية الدنماركية ورغم ذيوعه في شتى وسائل الإعلام. والسبب في هذا الغياب لردود الأفعال واضح وبسيط وهو أن المسلمين قد تعلموا الدرس جيداً أو لقنوه من خلال عشرات المهازل المماثلة في أوروبا وفي بلادهم ذاتها .. وهذا الدرس هو أنهم لا يجب أن تصدر عنهم أي ردود أفعال حادة أو مزعجة على مثل هذه المهازل وإلا كان الرد العكسي أفظع. تعلم المسلمون أن أنظمة الحكم في بلادهم التابعة بالكامل للغرب والمعتمدة عليه بالكامل في التعادل والاستمرارية والتوريث للأهل والأحباب لا تستطيع أن تتحمل مسئولية أي رد فعل غاضب ضد الاجتراءات والإهانات ضد الإسلام ورموزه حتى ولو لم يكن رد الفعل هذا صادراً فيها هي وإنما من بعض العلماء أو الأشخاص داخل أراضيها. لكن المسلمين لم يتعلموا فقط درس فشل أنظمتهم ومؤسساتهم العربية وصدأ ردود أفعالهم وإنما تعلموا كذلك أن ردود أفعالهم نفسها أصبحت مقصورة على الصخب والضجيج الأجوف. وأقول الأجوف وليس الضعيف لأن رد الفعل الأجوف قد يكون قوياً من ناحية الصوت والانتشار لكنه لا يحتوي على أي مضمون أكثر من تكرار الإهانات والإساءات الأصلية التي أطلقت ضد الإسلام .. وهذا الطابع الأجوف لردود الأفعال الإسلامية على الإساءات والإفتراءات الغربية (وبصرف النظر عن ضعف هذه الردود) هو المسئول صراحة عن انفضاض عامة الناس في العالم الإسلامي عنها حيث تحولت إلى مجرد طقوس خاوية من الروح والمعنى تصدر بشكل رتيب وآلي إثر كل حادثة استفزازية .

ولهذا السبب لم تعد ردود الأفعال على تلك الحالات قوية كما كان الأمر مثلاً بعد نشر رواية سلمان رشدي وجاءت هذه المهزلة الهولندية وانعدام أي رد فعل على وصف القرآن بالكتاب الفاشي لتؤكد هذا الانفضاض والضجر بردود أفعال جوفاء لا تلبث أن تخمد لتعود كل مرة أقل ضعفاً حتى تختفي وتذبل وتصبح الساحة حرة أمام كل من يريد الهجوم على الإسلام واحتقاره في الغرب أو في الشرق لكي يمارس مهازله دون خشية شئ وذلك في الوقت الذي لا يستطيع أي صوت في أوروبا مثلاً أن يهاجم مجموعة المقدسات الأوروبية والغربية الحديثة من مزاعم إعادة اليهود إلى الشذوذ الجنسي ولا القديمة كذلك مثل عقيدة الكنائس أو النظام الرأسمالي. ولكن لا يجب أن يلقى اللوم على الغربيين وحدهم فالإسلاميون يتحملون نصيبهم المشهود من هذا الذبول والاختفاء للغيرة الشعبية على المقدسات حيث اختلطت ردود أفعالهم على الإساءات في السنوات الأخيرة بعيوب عديدة كان أبرزها الانفعال والاندفاع وإصدار الضجيج والصخب

دون وجود قاعدة قوة شعبية أو حتى إعلامية تسانده والوقوع فى فخاخ التضخيم والمبالغة والجرى وراء إساءات وهمية لم تقع أو انتزاع حالات أخرى من سياقها وإبرازها وتهويلها. وقد ساعدت هذه العيوب كلها ليس فقط على جلب الشهرة لمن أصدروا الإساءات وإنما أدت وهو الأخطر إلى الانقضاض الشعبى الإسلامى العام عن المشاركة فى أى ردود أفعال مماثلة بل وأدت فى وضع أشد خطورة إلى إسقاط مبدأ ومشاعر الغيرة على المقدسات العربية ذاتها .

إريتريا الإرهابية !!

مر بهدوء إعلان الخارجية الأمريكية عن أنها تعتزم وضع إرتيريا على قائمة الدول والمتهمة بمساندة الإرهاب وربما كان ذلك لإن الخبر جاء وسط إعلانات مماثلة شملت الحرس الثورى الإيرانى على سبيل المثال. لكن هذا الإعلان يستدعى إلى الذاكرة حقيقة أن العلاقات الأمريكية والغربية عموماً مع إرتيريا كانت حتى سنوات قليلة مضت على أفضل حال وكان الغرب يرحب بنصفية إرتيريا للحركات الإسلامية فى أراضيها وبموقف النظام المعادى للعروبة داخل وخارج البلاد وبمواقفه الشرسة ضد الدول العربية القريبة من البحر الأحمر مثل المسلمين (على خلفية الصراع حول بعض الجزر) بجانب العداء للسودان وإعادة مد نطاق المياه الإقليمية واحتجاز سفن الصيد القادمة من بلاد عربية مثل مصر .. ووصل الترحيب أو حتى التشجيع الغربى لسياسات النظام الإثيوبى حد إقامة علاقات تعاون عسكرى مع إسرائيل كما أن النظام وصل إلى حالة أشبه بجنون العظمة تصور معها أنه أصبح قوة إقليمية تحظى بدعم الغرب مما جعله يقدم على حرب مكلفه مع إثيوبيا حاول معها جاهداً أن يثبت قوته العسكرية ونجح فى ذلك بالفعل أمام جيش إثيوبى مفكك يفتقد لدافع القتال .. لكن الأمور تغيرت بشكل جذرى فى السنوات الأخيرة وأوصلتنا إلى الوضع الذى جعل أمريكا تريد وضع إرتيريا على قائمة الدول المشجعة للإرهاب. وكان سبب التغير الجذرى هو اكتشاف أمريكا لإمكانية التعاون مع إثيوبيا وليس إرتيريا لتحويلها إلى القوة الإقليمية الضاربة لحساب الغرب فى منطقة القرن الإفريقى وحوض النيل إتجاهاً إلى شرق، بل حتى ووسط إفريقيا .. وكان هذا التحول الأمريكى محتوماً لأسباب كثيرة لعل أبرزها أسباب الموقع الجغرافى والوزن السكانى فرغم أن إرتيريا كانت تتمتع بالميزة التى تفتقدها إثيوبيا وهى ميزة الموقع على ساحل البحر الأحمر إلا أن هذه كانت هى ميزتها الوحيدة أمام مزايا عديدة للجانب الإثيوبى مثل أعداد السكان الكبيرة والموقع الممتد من القرن الإفريقى إلى وادى النيل وسهولة الوصول إلى البحر

من خلال جيبوتى وشمال الصومال وهو ما حدث بالفعل. وفوق ذلك فهناك المصالح الإثيوبية المتشابكة سكانياً مع الدول المجاورة من الصومال إلى السودان وهى تشابكات لها تاريخ وخلفيات عقائدية وقبلية وثقافية بعيدة. وبجانب ذلك فإنه إذا كانت إرتيريا قد حظيت بميزة ضرب الحركات الإسلامية السياسية فإن ذلك أمر عابر لا ينسحب على الدين الإسلامى نفسه وذلك مقابل تراث عميق تكنه القوى الحاكمة أو العرقية الكبيرة فى إثيوبيا ضد الدين الإسلامى ذاته وليس ضد الحركات السياسية أو الجهادية الإسلامية. وقد تجلى هذا التراث مؤخراً فى تحركات كان أبرزها الطابع الصليبى الواضح الذى اتسمت به الحملة الإثيوبية على

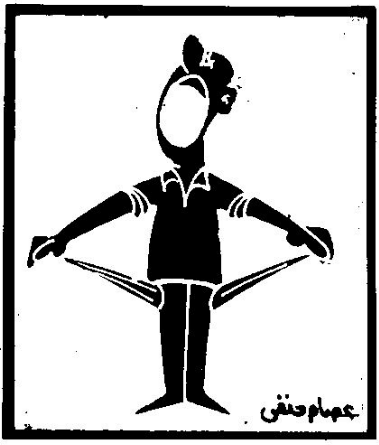

الصومال وعودة التنسيق والتوحد بين الكنيسة الإرثوذكسية فى المنطقة وصولاً إلى جنوب أوروبا وغرب آسيا .. كل هذه الإمكانات البشرية والجغرافية والثقافية والتاريخية تمثل مصادر قوة مؤهلة للتحول إلى قوة إقليمية يعتمد عليها الغرب وليس لإرتيريا أى شئ يمكن أن تناقش به سوى بعض الجعجعة الإعلامية .

وإذا أضفنا إلى ذلك الموارد المائية والزراعية ومجال التحرك الاستراتيجى فإن التحول الأمريكى كان محتوماً ولم يكن لإرتيريا وضع فى الصورة سوى أنها مرحلة إنتقالية محدودة وقد هيأ هذا إلى الهدف الحقيقى والمهم والدائم للسياسة الغربية فى تلك المنطقة وهو إثيوبيا. وقد حدث هذا التحول بالفعل وكان لإسرائيل دور كبير فيه وتكلل بالدور الإثيوبى فى احتلال الصومال والدور المرتقب فى وادى النيل والسودان، بل وضد إرتيريا نفسها تمهيداً لإسقاط نظامها وإلحاقها فعلياً أو سياسياً أو من خلال دائرة النفوذ بإثيوبيا وهو ما يمهد له الإعلان الأمريكى عن أن إرتيريا تشجع الإرهاب مما يعطى المبرر لجعلها الهدف التالى بعد الصومال أو على الأقل محاولة الوقوع الإثيوبى فى الدائرة الأمريكية. أما عن آليات التحول الأمريكى إلى إثيوبيا وإسقاط إرتيريا من دائرة الاعتبار كقوة إقليمية وأبعاد ذلك فلهذا قصة أخرى .

د. محمد يحيى

كلمة

أ.د. حلمى القاعود

المياه السوداء فى الخليج !!

قال فضيلة الشيخ "جورج بوش الابن" : إنه ليس عدواً للمسلمين ، وإن الإرهابيين هم الذين شوّهوا صورته فى العالم الإسلامى !

فضيلته رجل رقيق ومهذب ، ويجرح النسيم مشاعره المرهفة وأحاسيسه الإنسانية .. وهو بالطبع ، لم يشنّ حرباً على المسلمين فى فلسطين وأفغانستان والعراق والصومال ، ولم يأمر المرتزقة المأجورين من قتلة "البلاك ووترز" أو المياه السوداء بسفك دم العراقيين والأفغان الأبرياء ودون ذنب أو جريرة اللهم إلا أنهم كانوا فى موضع الإطلاق هدفاً للذخائر القاتلة الحارقة الخارقة !

وإذا كان الشعب العراقى المسلم مثلاً يعيش فى شغاف قلب فضيلة الشيخ "جورج بوش الابن" ، فإنه لا يتورع عن قتل ألف وخمسمائة "إرهابى" عراقى شهريا ، ارتفع عددهم فى الشهور الأخيرة (أواخر الصيف وأوائل الخريف ٢٠٠٧م) إلى ألف وسبعمائة ، مما يعنى أن سماحته سيقضى على ملايين العراقيين الإرهابيين على مدى السنوات القادمة حُبّاً فى آلاف العراقيين الطيبين الباقين .. ! أرأيتم رهافة الحس لدى فخامة الرئيس بوش الطيب الذى شوّه "الإرهابيون" صورته ، مع أنه لم يقتل فى أفغانستان والعراق وفلسطين والصومال إلا مليون مسلم فقط ، ولم يهدم من بيوتهم وقراهم ومدنهم ومدارسهم ومساجدهم ومستشفياتهم إلا مئات الألوف فحسب .. إنه رجل طيب جداً ، خاصة أنه لم يستخدم غير القنابل العنقودية والصواريخ التى تخترق الجدران الصلبة وتفتت

الجرانيت وتجعل الدبابة المدرعة الثقيلة التى تُشبه القلعة المتحركة تتفتت إلى شظايا ، وتصل الشظية بعد الانفجار إلى ما يزيد عن الخمسين متراً (!) محدثة تجويفاً فى الأرض لا يقل عن حجم غرفة كبيرة !

ثم إن فضيلة الشيخ جورج بوش الابن ، الرجل الطيب الرقيق الذى يشوه "الإرهابيون" صورته لدى الشعوب الإسلامية ، استطاع بعد أربع سنوات من احتلال العراق أن يضاعف قواته فى العراق وأفغانستان ، من خلال استئجار عشرات الألوف من المرتزقة ، وقد تساوى عددهم فى العراق مع قوات الجيش الأمريكى الغازية ، وهؤلاء المرتزقة من حثالة المجتمع الأمريكى ، وأغلبهم يحمل الجنسية الأمريكية بعد جنسيته الأصلية ، ويتم استئجارهم لغرض واحد هو القتل ، ولا شئ غير القتل لكل من يقف فى طريقهم ، وإن كانت وظيفتهم المعلنة هى حماية الشخصيات والمؤسسات المدنية ، وقد أتى بهم "بول بريمر" أشهر حاكم استعمارى للعراق بعد سقوط بغداد ، وذلك لحمايته ، وحماية الشخصيات الاستعمارية التى تعمل معه ، ثم توالى وصولهم إلى العراق لتكون مهمتهم ترويع الشعب العراقى وقتل أبنائه البسطاء تحت مسمى "مكافحة الإرهاب"، وقد عاثوا فى الأرض فساداً ، فهدموا المساجد والمزارات والبيوت والمدارس والجامعات ، وقتلوا كثيرا من العلماء وأساتذة الجامعات العراقيين ، ونهبوا محتويات المتحف العراقى ودمروا الآثار الموجودة به ، فضلاً عن إشعال الفتنة الطائفية بين الشيعة والسنة ، وقتل زعماء الطائفتين لاستمرار الفتنة ، ولا عجب أن يكون اسم هؤلاء المرتزقة مستوحى من المياه السوداء للمستنقعات الكئيبة العظمى من جنوب شرق فرجينيا إلى شمال كارولينا الشمالية ، وهذه المستنقعات قريبة من مكان المؤسسة "بلاك ووترز" التى تأسست عام ١٩٩٨م للقيام بالأعمال القذرة بعد التدريب على استخدام السلاح بدءاً من المسدسات حتى المدافع الآلية . وتعاقدت مع جهات حكومية للقيام بأعمالها فى إطار صفقات ضخمة تقدر بعشرات الملايين ، واتسع دورها وتضخم بعد تدمير المدمرة كول فى ميناء عدن عام ٢٠٠٠م ، وأحداث سبتمبر ٢٠٠١م . وقد وقع رئيس المؤسسة الإجرامية واسمه "إيريك بريتس" أضخم عقد عقب أحداث سبتمبر مباشرة بمبلغ ٦١٠ آلاف دولار مع الإف بى آى ، ثم توالت العقود وتضاعفت حتى بلغت الملايين فى العراق وأفغانستان على السواء.

لقد انكشفت أعمال "المياه السوداء" عقب أحداث الفلوجة والنجف ، وكتب "روبرت فيسك" :

"ظلت سلطة المرتزقة وقوتهم تتنامى . إن فتوات بلاك ووترز يدفعون ويلكمون العراقيين الذين يلتقونهم فى طريقهم . غادر صحفيون أكراد مرتين ، مؤتمرا صحفيا لبريمر نظرا لسوء معاملتهم على أيدى هؤلاء . ينشط فى بغداد غربيون يلتحفون العتاد ، يصيحون فى العراقيين الذين يقابلونهم فى الشوارع وينتهكونهم ، ويشربون حتى الثمالة فى فنادق المدينة ذات الحراسة الضعيفة . أصبحوا بالنسبة للعراقيين صورة لكل ما هو خطأ ومعيب فى الغرب . يحلو لنا أن نسميهم مقاولين ، لكن التقارير المقلقة تتزايد بكثرة

حول أعمال القتل بإطلاق النيران التى يمارسها المرتزقة ضد العراقيين بحصانة تامة" (منحهم بريمر حصانة كاملة بالمرسوم رقم ١٧ عقب توليه الحكم فى بغداد) .

يقول "جيمى سكيل" مؤلف كتاب "المرتزقة قادمون - بلاك ووترز" (ترجمة فاطمة نصر وحسام إبراهيم) عن دور هذه القوات غير النظامية المرعب والسّرى والغامض :

"ويظل ما فعلته تلك القوات بالعراق وأعداد الذين قامت بقتلهم ، وعدد الموتى والجرحى منهم أسئلة دونما إجابة لأن أحداً لا يشرف على أنشطتهم بالبلد ، حتى الآن لم تتم إدانة مقاول عسكرى واحد (يطلق عليهم المقاولون) عن الجرائم ألتى ارتكبت بالعراق" .. وهناك قصص عديدة عن جرائمهم يتبجح بها بعض هؤلاء المقاولين أو المرتزقة (!!) يشيب لهولها الولدان .

ويبدو أن وجود هؤلاء المرتزقة ، قد شجع فضيلة الشيخ جورج بوش الابن ، على المزيد من عمليات الإبادة المنظمة للشعب العراقى المظلوم ، والبقاء فى العراق ، والخليج بصفة عامة تمهيداً لضرب إيران ، بل إنه تمدّد بهؤلاء المرتزقة وعبر حدود أفغانستان إلى أذربيجان حيث مخازن البترول المكتظة فى باطن الأرض التى تحيط ببحر قزوين ، ليكون لهم دور أخطر فى الاستراتيجية الأمريكية على مدى السنوات القادمة !

ويبدو أن المياه السوداء ستغرق الخليج ، وخاصة إذا بدأ ضرب إيران ، وتدميرها لإتمام السيطرة على بترول العرب والمسلمين ! وهو ما يجعل فضيلة الشيخ جورج بوش ، يتساءل وبراءة الأطفال فى عينيه ، هل أنا عدوّ للإسلام ؟ وينفى أن يكون كذلك ، ملقيا بالتهمة على من يُسميهم "الإرهابيين" ، ويالهم من "إرهابيين" يستحقون الموت ؛ لأنهم يجب أن يشكروه على قتل شعوبهم وسرقة ثرواتهم وحرمانهم من الحرية !

الأتراك والأكراد
رب ضارة نافعة !

خطفت الأبصار والأسماع حوادث شمال العراق فى الأسابيع الماضية ، وتدخلت القوى الكبرى والإقليمية لتوقف حرباً محتملة بين تركيا وحزب العمال الشيوعى فى كردستان فى العراق ، بعد أن قام الأخير بعدة تفجيرات فى مدن تركية أهمها : أزمير .

أسفرت التفجيرات الكردية عن مقتل العشرات من الأتراك وإصابتهم إصابات بالغة ، وهو ما استدعى إعلان الطوارئ على الحدود التركية العراقية ، وإبلاغ البرلمان التركى لأخذ موافقته على استخدام القوة العسكرية للقضاء على الخلايا المقاتلة لحزب العمال الشيوعى الكردستانى .. وهو ما جرى بالفعل ، حيث أعطى البرلمان التركى موافقة مفتوحة للجيش التركى كى يتخذ ما يراه مناسباً فى شمال العراق !

ويسعى حزب العمال الشيوعى الكردستانى لتحقيق مطالب قومية تهدف فى نهاية الأمر إلى تكوين دولة كردستان التى تشمل أكراد العراق وتركيا وإيران وسوريا ، فضلاً عن العائلات الكردية المنتشرة فى الأردن ولبنان وبعض الجمهوريات الآسيوية الوسطى ؛ وهذا الهدف يعمل عليه منذ زمان

بعيد ، قادة الغرب الصليبي الاستعماري ، في سياق تقسيم العالم الإسلامي وتفتيته ، وزرع الإحن والعداوة والبغضاء وشن الحروب بين أجزائه ليبقى ضعيفاً مستباحاً بلا حول ولا طول .

وكان أكراد العراق طليعة العمل الانفصالي منذ الخمسينيات ، وقاد زعيمهم الملا مصطفى البرزاني ، عمليات القتال ضد الحكومة العراقية ، واستعان بالشيوعيين السوفيت والإيرانيين في عهد الشاه ، واليهود الغزاة في فلسطين ، فضلاً عن دول الغرب ذات الصلة بالمنطقة ، وفي مقدمتها بريطانيا التي احتلت العراق ردحاً من الزمان في النصف الأول من القرن العشرين .

وبعد موت الملا مصطفى ، خلفه ابنه مسعود البرزاني ، الذي يحكم الآن ما يُسمى بجمهورية كردستان العراق ، ويستقل بها استقلالاً شبه تام ، بعد أن أتاح له الحصار الأميريكي للعراق عقب تحرير الكويت فرصة الحركة الآمنة ، وفرض شروطه على حكومة بغداد الضعيفة ، ثم جاء احتلال الأمريكان والحلفاء الصليبيين الغزاة للعراق ، ليدعم أكراد العراق دعماً بلا حدود ، وفضلا عن بروز دور الخبراء اليهود والموساد في الهيمنة على عقلية الحكومة الكردية وتوجيهها وتشجيعها لتحقيق غايات استعمارية واقتصادية.

وصار للأكراد العراقيين حكومة وبرلمان وجيش ونشيد وعلم - بعد أن أنزلوا العلم العراقي - وبعثات لدى بعض الدول .

وراح حزب برزاني ، مع حزب طالباني ، يقتسمان الغنائم في كردستان ، ويعملان على الانفصال الكامل عن العراق ، من خلال دستور وضعه الأميركيون في المنطقة الخضراء ، يكرس استقلال الأكراد ، ويمنحهم نصيباً فوق ما يستحقون من بترول العراق ، ويساعدهم على ضم كركوك (التركمانية) إلى دولتهم المستقلة ، وهي غنية بالنفط ، بالإضافة إلى ضم معظم محافظة الموصل إلى هذه الدولة .

ويُلاحظ أن الحزبين المسيطرين على كردستان (برزاني وطالباني) شيوعيان ، أو كانا كذلك قبل أن يتحالفا مع الأميريكان نظير إقامة الدولة الكردية على أشلاء العراق ، ويُلاحظ أنه حتى الآن لم تجر أية عمليات مقاومة ضد الغزاة الصليبيين في كردستان ، كما يُلاحظ أن الشيوعيين الكرد كانوا يُلاحقون، وما زالوا ، الحركات الإسلامية في كردستان ، وتضع أمريكا قادة هذه الحركات على قائمة المطلوبين ومنهم الملا "كريكار" ، لسبب بسيط جداً ، وهو أنهم يرفضون احتلال العراق ، ويُطالبون الغزاة الصليبيين بالرحيل .

أما حزب العمال الشيوعي الكردستاني - زعيمه السجين الشهير عبدا لله أوجلان - فيتخذ من البيئة الجبلية في شمال العراق مقراً لمعسكراته وأماكن تدريبه ، ويلقى دعماً عسكرياً من برزاني وطالباني فضلاً عن أمريكا وقوات التحالف واليهود ، ويتصور برزاني رئيس كردستان العراق أنهم درعه الواقي مع البيشمرجه أو البطلة التي تمثل جيش الدولة الكردية وهي لا تخضع لحكومة بغداد ، ويضع أفرادها على صدورهم العلم الكردي ويتكلمون اللغة الكردية ، مثلما يتكلم بها قادة الدولة وموظفوها ، فقد صارت

الكردية لغة رسمية ولغة التعليم فى المدارس الأساسية والعليا بمنطقة كردستان.

ويذكر التاريخ أن صلاح الدين الأيوبى ، كان كردى الأصل نشأ فى الشام وتربى ، وجاء إلى مصر ، ليتولى سدّة الحكم ، ويقود جيوشها ليُحرِّر القدس من الغزاة الصليبيين بعد احتلال ظل أكثر من سبعين عاماً ، وليُسجل فى التاريخ أروع صفحات الشرف والبطولة والإخلاص ، فضلاً عن الإيمان والزهد ، وليُثبت أن المسلمين يتسامون فوق أعراقهم وطوائفهم من أجل مجد الإسلام وعزة المسلمين ..

وعندما نقارنه بالشيوعى مسعود بارزانى رئيس دولة كردستان العراق ، أو الشيوعى جلال طالبانى الذى يرأس دولة العراق المحتلة ، نجد الفارق كبيراً جداً ، فشتّان بين من يسخر من دينه ويعده مجرد أوراقا صفراء جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم على جمل أجرب ، ويوالى أعداء الله والإسلام والمسلمين ، وبين من يحقق عزة أمّته ، ويسعى لحمايتها والذوّد عنها والجهاد فى سبيلها مهما كان الثمن غالياً وفادحاً..

هذه المقارنة ضرورية لندرك أى دور تخريبى خيانى يقوم به الشيوعيون الأكراد وهم يحتمون بالغزاة الصليبيين واليهود ، ويصل بهم الغرور إلى حد الإعلان عن عدم السماح لجندى عراقى (غير كردى) أن تطأ قدمه أرض كردستان ، بل يهددون عرب العراق ويمثلون (٩٣٪) من عدد السكان بالقتال والغزو إذا لم يستجيبوا لإرادتهم المدعومة بالاحتلال.

ومن الغريب الذى ليس غريباً ، أن البرزانى ومن معه يتخلون فجأة عن هذه العجرفة حين يرون العين الحمراء التركية ، ويُعلنون أن كردستان جزء من العراق ، ويجب على العراق أن يدافع عنها ، ويُطالبون بتنفيذ الاتفاقيات الموقعة بين بغداد وأنقرة ، وذلك لحمايتهم وحماية البيشمرجة وبقية الشيوعيين الخونة !

ومع أننا نحن المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها نتمنى أن تحل الأزمة دون قطرة دم واحدة ، فإننا نأمل أن يستفيد منها ومن درسها ، أولئك الذين باعوا أنفسهم للشيطان من أجل مصالحهم الخاصة ، ولو جاءت على حساب الإسلام والمسلمين ، ورب ضارة نافعة فلعل هذه الأزمة تمنع خطر تفتيت العراق الجريح ، وليت الشيوعيين المصريين الذين ذهبوا إلى "أربيل" وباركوا الدولة الكردية المستقلة وأشادوا بها وبضيافتها ، يستحون من مواقفهم المفضوحة التى لا يستفيدون من تكرارها ، فقد سبق أسلافهم أن باركوا قيام الدولة الصهيونية ، وهاجموا الجيوش العربية التى ذهبت للدفاع عن الفلسطينيين العزّل الذين يتعرضون للإبادة والتهجير .. والله غالب على أمره .

حقا إنه
أزهى عصور الصحافة !

واضح أن الأمور أخذت طريقها نحو مزيد من التصعيد السافر ضد الحريات العامة . وفى مقدمتها حرية الصحافة . وذلك بحبس مجموعة من الصحفيين بلغ عددهم السبعة - بانضمام رئيس تحرير الوفد واثنين من صحفييها - إلى من سبق الحكم بحبسهم وهم أربعة من رؤساء تحرير صحف خاصة هى :

الدستور وصوت الأمة و الكرامة و الفجر.

ويبدو لى أن القوى السياسية لم تلتفت جيداً إلى الخطوات التدريجية التى اتخذتها السلطة لتقنن الاستبداد السافر . وتحرم الشعب من المشاركة فى تقرير مصيره واتخاذ القرار فى القضايا التى تعالج حاضره وتصنع مستقبله .

وكان ما سمى بالحراك السياسى بين عامى ٢٠٠٤ و٢٠٠٦ م علامة على سعى السلطة المستمر لوضع الحريات العامة داخل زنزانة بوليسية فاشية لا تعرف لغة الحوار ولا تفهم منطق التعددية..

كانت تمثيلية المادة ٧٦ من الدستور متقنة للغاية - وظن الناس أن الأمر جد وليس تسلية يراد منها إلهاء الناس عن واقع شرس ضاق بهم وضاقوا به - وكان تعديل هذه المادة من أعجب ما عرفه العالم حيث صيغت فى نحو ثلاث صفحات فحققت بذلك رقما قياسيا فى دساتير الدنيا بوصفها أطول مادة فى كل الدساتير . وجاء فحواها مخالفا لكل التوقعات الحالمة بانفراج سياسى حقيقى يتيح للقوى الحية أن تعبر عن نفسها وتشارك فى بناء الوطن . فقد صُممت بحيث يصير من الصعب "ترشيح" - مجرد ترشيح - من لم ترض عنه السلطة البوليسية الفاشية ويكون طوع بنانها .. مع الإفادة سلفا بمن سيكون الفارس المحظوظ .

وفى انتخابات ٢٠٠٥ م التشريعية شهد الناس "تراجيديا" مؤلمة ومحزنة حيث تم الاعتداء على القضاة . ومنع الناخبين من الوصول إلى لجان التصويت . وإعلان نتائج مزورة فى الغالب .. وكان الحصاد أربعة عشر قتيلا ومئات الجرحى سقطوا برصاص النظام .

وفى خطوة مباغتة وفاجعة تم تأجيل انتخابات المجالس المحلية حتى ينتهى النظام من إعداد تعديلاته الدستورية التى تنهى وجود القضاة الحقيقى وإشرافهم على الصناديق الانتخابية . وقد جاءت التعديلات لتحرم القوى الحية من المشاركة فى العمل السياسى تماما حيث يتم تزوير الانتخابات علنا ومباشرة . يساعد على ذلك انصراف الجمهور عن الإدلاء بصوته ثقة منه بعدم جدوى ذهابه وتصويته لمن يختار . فقد أخذت السلطة على نفسها واجب التصويت لمن تريد هى ولمن تختار هى .

وقد ترافق مع هذا الحراك السياسى الملتبس بدء الضربات للصحافة وتكرار تجربة إغلاق صحيفة الشعب الناطقة بلسان حزب العمل وحبس رئيس تحريرها واثنين من زملائه وتغريم آخر عشرين ألف جنيه . وتم القبض عليه فى يوم صدور الحكم لدفع الغرامة !

أقول تكررت التجربة بإغلاق جريدة آفاق عربية وتشريد أكثر من سبعين صحفيا لم يتقاضوا مرتباتهم منذ عام ونصف عام . ثم بدأت المناوشات للتحقيق مع بعض الصحفيين الأحرار . وتحويل الأقلام الراسخة فى الدفاع عن حقوق الإنسان المصرى إلى أقلام مرتعشة . تغمغم ولا تفصح . وتدمدم ولا توضح . كى يطمئن دهاقنة الفساد إلى استمرارهم فى النهب والتخريب والاحتكار وإفساد حياة الوطن بالتعليم السطحى والإعلام الكذاب. والثقافة المزيفة الخانعة .

ربما كان الحكم بحبس رئيس تحرير الوفد واثنين من زملائه القشة التى قصمت ظهر

البعير وكشفت لكل من كان يعلق أملا على ما يسمى هامش الحرية فى تغيير الأحوال إلى ما هو أفضل وأحسن .. لقد انكشفت الخدعة عن سراب كبير يقوم على تقديم صورة ديكورية تخاطب العالم الخارجي وحده . وتقوم على أربعة وعشرين حزبا لا يمكن لأحد أن يعرف أسماءها كاملة . ولا يمكن لأى حزب منها أن يعقد اجتماعا جماهيريا أو ينظم مظاهرة عامة ، بل إن النظام لا يجد غضاضة فى الإيقاع بين أعضاء كل حزب يخشى من نموه وتطوره فى اتجاه يهدد وجوده السياسى !

إن دعم النظام للصحافة القومية فى مواجهة الصحف الحزبية والمستقلة ينبع من رغبته المستبدة فى تهميش الأخيرة وتحويلها إلى مجرد أبواق تابعة له تسبح بحمده وتشيد بأفضاله . وهو أمر - فيما أتصور - لن يتحقق بسهولة اللهم إلا إذا استمر فى هجمته الإرهابية بتجنيد أتباعه لرفع مزيد من القضايا على هذه الصحف وإدخال صحفييها السجون . وحينئذ تتوقف تلقائيا . ويبدو فى الوقت نفسه بريئا من دمها !

لقد آن الأوان أن تقف نقابة الصحفيين والنقابات المهنية والقوى الحية وقفة حازمة ضد الاستبداد الغشوم للجمه وفرض التراجع عليه. وأعتقد أن كتاب لاظوغلى ومثقفى الحظيرة وكتاب البلاط يجب ألا يؤثروا على حركة أحرار الأمة فى سعيها لمقاومة الاستبداد واستعادة مصر من قبضة الفاسدين المفسدين .

ويا أيها المحامون الشرفاء : قوموا بدوركم ضد أبواق السلطة . الذين يسيئون إلى الشعب كله والأمة كلها والقيم الشريفة كلها ... والله ناصركم ومؤيدكم .

مسلسل الدالى وتشويه الرجال !!

يحكى عثمان أحمد عثمان ، فى مذكراته التى نشرها المكتب المصرى الحديث عام ١٩٨١م تحت عنوان "صفحات من تجربتى" ، هذه الحكاية :

"اتصل بى ذات يوم فى التليفون الأستاذ أحمد رجب - الصحفى المعروف ، يطلب منى تعيين رجل يعرفه .. وأخفى عنى أن هذا الرجل من (أصحاب السوابق) ، وإنه كان متخصصا فى ارتكاب جرائم النشل ، وله تسع وثلاثون سابقة ..

وأصدرت قرار تعيينه .. وعندما التقيت بالرجل حكى لى عن كل جوانب حياته .. بما لها وما عليها .. وأحسنت معاملته عندما عرفت ظروفه .. وتاب إلى الله .. وأدى فريضة الحج .. ولم يصبح موظفاً عادياً فى الشركة ، ولكن أصبح يعمل فى قسم خزائن "المقاولون العرب" يمسك بيده عشرات الآلاف من الجنيهات ..

وكان أن اتصل بى أحمد رجب بعد فترة ، لكى يطمئن على الرجل الذى أخفى ظروفه ، وينبهنى إلى ماله من سوابق .. فوجئ بأننى عرفت كل تفاصيل حياته ، وأنه كان يرتكب جرائم النشل .. ولكن المفاجأة الكبرى كانت لأحمد رجب عندما عرف أن هذا النشال أصبح أحد الأمناء على خزائن "المقاولون العرب" ..

ويُضيف عثمان معلقاً على هذه الحكاية :

"هذا هو الإنسان المصرى الأصيل .. رغم

انحرافه لأسباب اجتماعية خارجة عن إرادته ، عندما وجد من يتفهم ظروفه ، ويفتح له قلبه ، كشف عن طيب معدنه" ص٥٥٥

هذه واحدة من الحكايات الكثيرة التى تضمنها كتاب عثمان أحمد عثمان ، أشهر مقاول فى العالم العربى ، على امتداد النصف الثانى من القرن العشرين . ومن خلال هذه الحكاية وبقية الحكايات يكشف الرجل عن أسلوبه فى مواجهة ما يعترضه من ظواهر تبدو معوقة لحركته ، مصادمة لنشاطه ، بعيدة عن الاستقامة والسلوك ، سواء كانت الظاهرة فردية أو رسمية .

وقد أثار المسلسل الذى تعرضه القنوات الفضائية باسم "الدالى" عاصفة من الغبار والتشويه حول الرجل الذى لا أعرفه ، وخدم بلاده أكثر من أربعين سنة خدمات جليلة ، فى الحياة المدنية أو المجال العسكرى ، وكانت قصة حياته نموذجاً للعصامية والكفاح الشريف والتربية الإسلامية المضيئة.

الفكرة الأساسية ، صعود الرجل من صاحب ملاليم إلى صاحب ملايين ، وبدلاً من تقديمها فى صورتها الحقيقية التى تكشف كيف تربى الرجل وتعلم ونجح وصار نائباً لرئيس الوزراء فى مصر ، ونقيباً للمهندسين ، وأشهر رئيس للنادى الإسماعيلى ، فضلاً عن كونه أشهر مقاول ، وصاحب أو مؤسس أكبر شركة مقاولات فى العالم العربى اسمها "المقاولون العرب" تضم خمسة وخمسين ألف عامل يملكون الخبرة والإرادة والإيمان ، فضلا عن عشرات الشركات الأخرى صناعية وزراعية وتجارية .. قدموا لنا رجلاً آخر أقرب إلى زعماء العصابات ، يعتمد على البلطجة والمكر والخداع والرشوة .

وبدلاً من عرض مواقفه السياسية الحقيقية فى العهدين الناصرى والساداتى ، قلبوا المواقف وجعلوها بالمعكوس ، وأضافوا إليها ماليس منها ، لدرجة أننا شاهدنا مسلسلاً بوليسياً ، بدلاً من مسلسل اجتماعى تربوى ، يُقدم نموذجاً واقعياً ، يقتدى به أبناؤنا ، ويُقلّدونه فى شحذ العزيمة والهمة والإرادة ومواجهة الصعاب والعقبات .

ومع أن تجار المسلسل نفوا أن يكون الدالى هو "عثمان أحمد عثمان" ، فكلامهم غير صحيح ، ولا أساس له فى حقيقة الأمر ، فلا يوجد مقاول ذهب مع الرئيس السادات إلى القدس غير عثمان ، ولا يوجد مقاول قاد عملية بناء السد العالى ودشم الصواريخ ، وحظائر الطيران ، ومدن القناة المدمرة ، ومدن القناة الجديدة : فيصل وزايد والصباح ، وقبل ذلك فى أوائل الخمسينيات "كفر عبده" ، فضلاً عن المدارس والمصانع والشركات والمساجد والمستشفيات والكبارى العلوية.. غير عثمان..

وكان الأولى بتجار المسلسل أن يعرضوا التجربة الحقيقية من خلال كتاب عثمان الذى شوّهوه وفبركوا على أساسه عملاً أقرب على المسلسلات الأمريكانى منه إلى الواقع المصرى الطيب .

إن قصة الرجل كما رواها تحمل كثيراً من المواقف الدرامية الإنسانية التى تشدّ الناس أكثر من تلك المواقف المفتعلة التى تقوم على الحشو والتقليد..

إن الرجل يحكى ببساطة قصة صبى يتيم عمل (صبى ميكانيكى) ، وحرّر شهادة "فقر"

ليُعفى من مصروفات كلية الهندسة ، وصنع دراجة بستين قرشاً لينتقل بها طوال دراسته الجامعية من باب الخلق إلى الجيزة ، وتلقى تربيته من أم بسيطة متدينة رفضت الزواج بعد وفاة أبيه لتقوم على شأنه وشأن إخوته ، وعرف دينه على يد الإمام حسن البنا ، الذى درّس له فى مدرسة الإسماعيلية الابتدائية ، وزوج شقيقته العالم الجليل الشيخ على حسب الله .. ثم شق طريقه بعد التخرج من خلال عمل المقاولات ، معتمداً على الله ، ثم الصدق والأمانة والجدية واليقظة مع الفجر ، وسبق العمال إلى مواقع العمل ، والمشاركة بيده والاستماع إلى آراء من يعملون معه ، ولو كانوا عمالاً بسطاء ، وكانت ذراعه اليمنى فى مسيرته شخصية مسيحية هى "رياض أسعد" الذى كان نعم الصديق الوفى ، وتحمّل معه متاعب العمل وصدماته بصبر وقناعة .. داخل البلاد وخارجها ..

ويبدو أن تجار المسلسل ، وهم يسطون على كتاب عثمان وحياته ، ويشوهونهما ، كانوا يطمحون إلى غايتين : الأولى تحقيق المزيد من المكاسب المادية على حساب الرجل الذى لا يستطيع دفاعاً عن نفسه بعد رحيله ، والأخرى تجريده من علاقته بالإسلام ، فلم نره يصلى مرة واحدة ولا يقرأ القرآن الكريم ، ولا يسير وفقاً لمنهج القرآن فى تعاملاته وأعماله ، ولا يحتضن مئات من الإخوان المسلمين الذين حملوا معه عبء البناء والتعمير انطلاقاً من الضمير والأمانة والعفة والشرف .

ليت الحكومة تقدم قصة حياة عثمان بعد اختزالها لطلاب المدارس ، وليت منتجين أصحاب رسالة حقيقية يقدمون مسلسلاً آخر يقوم على أساس هذه القصة ، ليرى أبناؤنا نموذجاً يُحفزهم على العمل والتمسك بالدين والقيم والأخلاق والتسامح .. وغفر الله لتجار مسلسل "الدالى" !..

مصر تبكى نفسها !

فى ليلة عيد الفطر بكى المصريون كما لم يبكوا من قبل . بكى المصريون أنفسهم وتعاستهم وإخفاقهم وحظهم المنكود ونصيبهم البائس ، مع أنهم يملكون ميزات كثيرة ، وإمكانات كبيرة لا يملكها غيرهم.

حين ماتت " ماما نونا " فى مسلسل "يتربى فى عزو" ؛ انهار المصريون ، وسحّوا الدموع مدرارا ، وتداخل البكاء بين ما هو شخصى وما هو عام .. فقد أحسّوا أنهم فقدوا كل شيء ، ولم يعد هناك ما يستحق البقاء ، بعد أن هانت مصر على بنيها ، أو معظم بنيها ، ولم يجدوا غضاضة فى بيعها بثمن بخس للطامعين والأشرار !

هل كان المصريون ينتظرون تلك اللحظة منذ زمان لينهنهوا و"يتشحتفوا" فى ليلة "مفترجة" يحلو فيها الفرح والسمر والبشر والسرور ؟

لا ريب أن الواقع المصرى أقوى من كل مسلسلات العالم ، فلا يكاد يمضى يوم دون حدث جلل يكشف معالم نظام متهاو آثر أن تكون لديه - بدلاً من عقله - الكلمة العليا ، فجعل من "النبوت" وسيلة "ضبط" و"ربط" فيما يتعلق ببقائه ووجوده واستمراره .. ومع أن كتّاب النظام وخدامه لا يكفون ليل نهار عن معايرتنا نحن المصريين واتهامنا بالتخلف العقلى وعدم العقلانية ، فإن أحداً منهم لم

يقل للنظام استخدم "مخك" بدلاً من "يدك" ، ثم انظر حولك كيف يتصرف العالم ، بل الجيران الأعداء الغرباء الغزاة ، كيف يستخدمون عقلهم في الإدارة والعلم والعمل والحياة.

مثلاً في الوقت الذي كانت فيه أجهزة الدعاية مشغولة بقضية تافهة حول شائعة مرض رئيس الدولة ، كان المجرمون اليهود يقومون بتدمير منشأة عسكرية سورية يُقال إنها كانت بداية لمشروع نووي ، وكان وزير دفاعهم يتنزه مع جنوده على الأرض السورية ليتفقد الموقع الذي تم قصفه على أرض الواقع .. يا للعار !

ومثلاً : بينما كان النظام كله مشغولاً بحبس الصحفيين المعارضين ، وتجييش دعايته وفقهاء الشرطة ووعّاظ السلطة لتسويغ جلد المعارضين وإذلالهم ، فإن ملايين المصريين كانوا يتقاتلون أمام المخابز البلدية بحثاً عن بضعة أرغفة ، بعد أن شحّ "القمح" ، واختفى "الدقيق". وعاث المحتكرون الفاسدون المفسدون في الأرض ظلماً ونهبا وخرابا..

لماذا لا تبكي مصر نفسها وعلى نفسها وعلى أحوالها ، وقد صارت في مؤخرة الأمم لا تقوم إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المسّ ، بعد أن اقترضت بالربا ، وأحلت الربا ، وتعاملت بالربا ؟

بحثت طوال شهر المسلسلات والفوازير والعوالم عن أحد العلماء أو الباحثين يظهر على شاشة التلفزة أو نسمع صوته عبر موجات الإذاعة ، ولكني لم أعثر فيما شاهدت بأحد منهم إلا مرتين مرة في رمضان وأخرى بعد العيد..

الأولى كانت مع عالم جليل في الأزهر يُراجع الأعمال الأدبية والفنية التي يثور حولها جدل بسبب ما تحتويه من إساءات أو تصورات معادية للإسلام والعقيدة ، وقد استضافته مذيعة لا تقوى شوكتها هي ومن وظفها إلا على الإسلام والمسلمين ، وراحت تجلد الرجل بلسانها وتنهره وتزجره ، وهي في منزلة ابنته ، والشيخ الفاضل الذي كان يرتدي بدلة ، يُطيل حبال الصبر ويُحاول بكل طاقته أن يفرغ شحنتها العدوانية ، ولكنها كانت مصرة على إدانته بل إدانة الإسلام وقواعده ، من أجل عيون "إعلام الريادة" - رحمه الله !

في المقابل ، فقد استضافت هذه المذيعة واحدة من العوالم أو الغوازي ، وكانت تتحدث معها بكل رقة وأدب ، بل كادت تتماهى مع "الغازية" - المودرن - وهي تسألها عن فضائحها التي اشتهرت بها بين خلق الله !

وحين تقارن ما جرى للعالم الأزهري وللغازية المودرن ، فلك أن تتأكد أن مصر لم تبك "ماما نونا" ، بل كانت تبكي أجمل قيمها التي ضاعت ، وأغنى ثرواتها التي نهبت ، وأغلى ممتلكاتها التي خُرِّبت .

المرة الأخرى ، كانت لقاء مع العالم المصري - الأميركي الجنسية - فاروق الباز ، أستاذ الجيولوجيا بجامعة بوسطن ، فقد ظهر على شاشة التلفزة ليحكي عن أحلامه "العلمية" لوطنه ، والفارق بين البحث العلمي هنا ، والبحث العلمي هناك ، فأثار أشجانا مزمنة ؛ وخاصة عندما اتصل به أحد أصدقائه وزملائه القدامى ، وبدا التفاوت كبيراً بين وطن ضائع تحت هراوة النظام البوليسي الفاشي وتجلياته الخائبة ، وبين وطن ديمقراطي يعمل فيه

الناس بحريّة وإبداع وعدالة ، حتى لو كان يمارس الجريمة خارج حدوده !

حمدت الله أن المذيعة لم تجلد فاروق الباز ولم تنهره ولم تزجره ، ربما كانت خائفة من جنسيته الأمريكية ، فالجنسية الأمريكية لها تجليات لا تخفى على أحد..

لنا أن نتصور بعدئذ نوعية الذين اهتم بهم الإعلام الرسمى وإعلام رجال القروض الذى يُسمى تجاوزاً بالإعلام الخاص ، إنهم - كما يقول البعض - "كريمة" المجتمع الرخو الفاسد من عوالم ومهرجين وطبالين وزمارين ومشققى حظيرة وكتاب بلاط ولاعبى كرة ومصفقين للسلطة فى السراء والضراء وكذابى زفة..

ثم لنا أن نؤكد للدنيا أن جهاز إعلام يُخصص أكثر من شهر لاستضافة تجار المسلسلات وصانعيها ، ويمنحهم من الوقت ما لا يمنحه لكبار المسئولين فى الدولة ، لهو معبر خير تعبير عن نظام يتداعى ، بعد أن فقد الرشد والصواب .. وإلا بالله ، ماذا يعنى أن يستضيف هذا الإعلام على معظم قنواته وموجاته المخرجين والمؤلفين والمنتجين والممثلين .. حتى الأطفال الذين قاموا ببعض الأدوار القصيرة جاءوا بهم ، وبعضهم كان يُغالب النوم ، ليتحدثوا عن العظمة و الأستاذية والحرفنة لفلان أو علان أو ترتان..

ثم يا للعجب ، جاءوا بمن سمّوهم نقاداً فنيين ليدلوا بآرائهم النقدية فى "شر البلية" ومع أننى من المعنيين بالنقد الأدبى على مدى أكثر من أربعين عاما ، فلم أر ناقداً أدبياً يظهر على الشاشة ويتناول عملاً أدبياً حقيقياً ، ويجد حفاوة مناظرة لما يُسمى بـ "النقد الفنى" !!

قبل ربع قرن تقريبا كانت هناك بعض البرامج الأدبية التى تتضمن نقداً ونقاداً ، ولكنها تلاشت فى زمن الدولة الرخوة ، أو الدولة البالوظة ، ليبقى على سطحها المسلسلات الرديئة وأهل الفن الهابط وجوقة النفاق !

ويحق للمصريين بعدئذ أن يبكوا على أنفسهم ، وليس على ماما نونا ، فى مسلسل يقول فيه واحد لآخر رآه يهتم بالدين : أنت حتصبح إرهابى ؟!!

واسلمى يا مصر

أ.د. حلمى القاعود
drhelmyalqaud@yahoo.com

حزب الإخوان بين الموضوعية والالتباس

بقلم: د. جمال نصار

nassareg2000@yahoo.com

لا شك أن طرح برنامج حزب الإخوان المسلمين في الآونة الأخيرة أثار بعض التساؤلات والشكوك وخصوصًا ما ورد في القراءة الأولى التي وُزعت على مجموعة كبيرة من رجال الفكر والثقافة والرأي باختلاف توجهاتهم وتنوع أيدلوجياتهم.

وأتصور أن قرار الإخوان بتوزيعه على هذه المجموعة من المفكرين يحمل في طياته عدة معان منها :

● أن الإخوان المسلمين بالرغم من اختلافهم مع البعض في المرجعية إلا أنهم يأنسون بالرأي الآخر ولا يحجرون عليه .. ويستمعون له مادام يصب في إطار النقد البناء والنصح الرشيد أخذاً بالقول المأثور (الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها) .

● حرص الإخوان على أخذ الآراء المتنوعة حول البرنامج يؤكد أنهم لا يعملون بمفردهم على الساحة السياسية، بل هم شركاء لكل أبناء الوطن الشرفاء في مسيرة الإصلاح والتغيير مهما اختلفت الآراء والأيديولوجيات . فالهدف واحد والهم واحد والتحديات واحدة

● حرص الإخوان على الالتقاء بهؤلاء المفكرين والسياسيين لتفعيل الحوار البنّاء حول البرنامج . وفك نقاط الالتباس والاستفادة من الرؤى المختلفة والآراء المتنوعة.

● أتصور أن ما ورد في البرنامج ما هو إلا قراءة أولية . يمكن بعدها أخذ الآراء المختلفة والاستفادة منها مادامت تصب في الصالح العام . ولا تخرج عن فهم الإخوان لطبيعة العمل السياسي .

● الإخوان المسلمون لهم اختيارهم الفقهي في مسائل الحياة، والذي يميزهم عن غيرهم. ولا يجبرون أحداً عليه. ويأملون من الآخرين أن يحترموا اختيارهم .

ومن خلال متابعة بعض هذه الكتابات التي وردت في الصحف المصرية والعربية ومواقع الإنترنت لكثير من الكتاب والمفكرين منهم الأستاذ السيد ياسين والأستاذ فهمي هويدي والدكتور عبد المنعم سعيد والدكتور وحيد عبد المجيد والدكتور عمرو الشوبكي والدكتور ضياء رشوان والدكتور رفيق حبيب والأستاذ خليل العناني ، وغيرهم كثير كان لي بعض

الملاحظات على كتابات بعضهم منها :

● أنه من الأهمية أن نفهم طبيعة دعوة الإخوان المسلمين فهم أصحاب مشروع حضارى متكامل لنهضة الأمة . وقد حدد الإمام البنا ذلك بقوله : (إنها هيئة إسلامية جامعة) بمعنى أنهم يهتمون بكل شئون الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية والتربوية والرياضية . يقول الإمام البنا فى رسالة "إلى أى شىء ندعو الناس" (يا قومنا إننا نناديكم والقرآن فى يميننا والسنة فى شمالنا ، وعمل السلف الصالح من أبناء هذه الأمة قدوتنا . وندعوكم إلى الإسلام . فإن كان هذا من السياسة عندكم فهذه سياستنا . وإن كان من يدعوكم إلى هذه المبادئ سياسيًا فنحن أعرق الناس والحمد لله فى السياسة . وإن شئتم أن تسموا ذلك سياسة فقولوا ما شئتم فلن تضرنا الأسماء متى وضحت المسميات وانكشفت الغايات) .

● أن كلا منا له ثقافته وأيدلوجيته التى تميزه عن غيره . وهذا الأمر لا بأس به مادمت أحترم رؤيتك . وتحترم أنت رؤيتى . ولكن تكمن المشكلة والالتباس إذا أجبرتك على

الاقتناع بفكرى ورؤيتى ، أو أجبرتنى أنت على ذلك . أو بمعنى آخر إذا ظن كل واحد منا أنه على حق وغيره على الباطل . وما أجمل قول الإمام الشافعى فى هذا السياق : "رأيى صواب يحتمل الخطأ ورأى غيرى خطأ يحتمل الصواب" ، وقوله أيضًا : (والله لوددت لو أن الله يظهر الحق ولو على لسان خصمى) .. فهدف الإخوان الوصول إلى الحق والتوافق مع شركاء الوطن والمصير فى إيجاد حلول ناجعة لما تعانيه مصرنا الحبيبة من فساد مستشر واستبداد مستحكم . ولن يتأتى ذلك إلا إذا استمع كل منا للآخر ، وعرف فقه الاختلاف والتنوع . واحترم ثقافة الآخر وأيدلوجيته .

● هناك بعض الصحف والمجلات تناولت البرنامج بعداوة شديدة ونقد هدام . لا يرقى إلى مستوى النقد العلمى ، بل الهدف منه معاداة الفكرة والمشروع الإسلامى بكل الوسائل المتاحة . ويستخدمون فى ذلك التشويه تارة ، والربط الخاطئ بين الإخوان ونماذج إسلامية أخرى سُنية أو شيعية . والحكم على النوايا دون معايشة الفكر فى الواقع الملموس . وهؤلاء لا نهتم بهم ولا نعطيهم اهتمامًا . ولا نُضيع أوقاتنا فى الاستماع إليهم ؛ لأن ثقافتهم بُنيت على رفض وتشويه الآخر وعدم قبوله .

وفى النهاية أتصور أن الإخوان مازالوا فى مرحلة الاستماع لكل الآراء حول برنامج حزب الإخوان المسلمين ولن تضيق صدورهم بأى رأى ، مهما اختلف مع رؤيتهم .

محمد أسد فى الطريق إلى مكة
بداية الطريق

- ٤ -

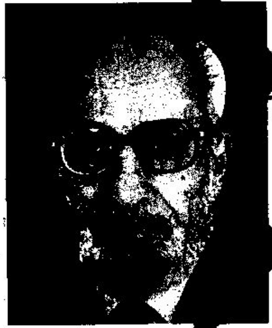

محمد يوسف عدس
مستشار سابق بهيئة اليونسكو

يعود محمد أسد بذاكرته إلى أيام الطفولة حينما ارتفعت قامته وأصبح قادرا على رؤية ما على مكتب أبيه من أدوات وأشياء لأول مرة .. ولكن شيئاً واحدا غريبا هو الذى جذب اهتمامه أكثر من أى شئ آخر.. تناوله وأخذ يفحصه بيديه وعينيه وأذنيه جميعا.. إنها قوقعة بحرية قديمة.. إذا وضعها على أذنه سمع فيها طنينا عجيبا.. فإذا أبعدها اختفى الطنين.. فإذا وضعها مرة ثانية على أذنه عاد الطنين إليها مسموعا مدويا.

كانت خبرة جديدة وعجيبة فى مجرى حياة طفل عاشق للاستطلاع والمغامرة بفطرته، لذلك أخذ يكررها مندهشا.. والنتيجة دائماً هى هى فى كل مرة .

ويعلق محمد أسد على هذه الخبرة المدهشة فيقول : "لم أستطيع فى ذلك الوقت أن أعرف أبداً ما إذا كان الصوت يبقى فى القوقعة بعد أن أبعدها عن أذنى..! وكيف يتسنى لى ان أعرف هذا"؟!

لم يستطع محمد أسد فى هذه السن المبكرة أن يدرك أن هذا السؤال الذى حيره صبيا هو بذاته السؤال الذى حير الفلاسفة والحكماء على مر العصور : هل هذا الشئ الذى نسميه "الحقيقة" منفصل عن عقولنا.. بمعنى هل للحقيقة وجود مستقل خارج عقولنا سواء أدركته هذه العقول أم لم تدركه؟ أم أن عقولنا هى التى تخلق الحقيقة ؟!..

يقول محمد أسد : لم أكن حينذاك أعرف الإجابة وعندما أنظر إلى الوراء أجد أن هذه الحيرة الكبرى التى نشأت عندى طفلا هى نفسها التى حيرتنى بعد ذلك ردحاً من الزمن. كما حيرت عقل كل كائن حى مفكر سواء كان ذلك بوعى منه أو بغير وعى.. وكأن سر رحلتى فى الحياة التى دفعت بى من وسط أوربا إلى الجزيرة العربية يكمن فى رغبة دفينة للبحث عن حقيقة ذاتى.. أن ألتقى بنفسى.. أن أكتشف تلك الحقيقة المبهمة التى تعشقها روحى ولكنى لا أستطيع الإمساك بها.. من أجل هذا تجشمت عناء الرحلة الشاقة والطريق الطويل من طفولتى وشبابى وسط أوربا إلى قلب الجزيرة العربية.. ورغم صعوبة الطريق أشعر أنه كان طريقا ممتعا إلى أقصى حدود المتعة كلما استحضرته فى ذاكرتى.

نفحات من ذكريات الطفولة :

يتذكر محمد أسد من طفولته كيف نشأ فى مدينة بولندية أصبحت جزءاً من النمسا.. ويتذكر البيت والشارع الذى أحبه والبيئة المحيطة بخضرتها وجمالها.. وكيف كان يقضى الصيف فى مزرعة جده لأمه.. وكان هذا رجلاً غنيا من رجال البنوك .. ويتذكر رحلاته مع والديه إلى برلين وإلى جبال الألب وغابات بوهيما وبحر الشمال والبلطيق.. ويتذكر القطار وحركته فى السفر.. والمناظر الخلابة على طول الطريق.

كانت طفولة سعيدة بكل المقاييس فقد كان أبواه يعيشان حياة مريحة هانئة.. ويلفتنا محمد أسد إلى تأثير أبويه عليه فيقول : أخذت من أمى الهدوء والصبر واحتمال المكاره وتحمل أخطاء الآخرين.. وأخذت من أبى القلق النفسى.. ويرجع أسباب أبيه إلى أنه كان يحلم فى شبابه أن يكون عالما من علماء الطبيعة.. ولكن الأمر انتهى به إلى أن يصبح محاميا.. ولكن رغم أنه كان محاميا ناجحا فى مهنته فإنه لم يتكيف تماما بهذه المهنة... كان من أحسن لاعبى الشطرنج.. وربما كان هذا سر صداقته الراسخة مع قسيس أرثوذكسى من أصل يونانى.. كانا يقضيان معاً ليالى طويلة فى هذه اللعبة الشيقة.. ثم يتناقشان بعض الوقت فى أمور الديانتين اليهودية والأرثوذكسية."...

من هنا نعرف أن ظروف حياته أتاحت له أن يستمع إلى النقاش فى الأديان والمقارنات المعقودة بين اليهودية والمسيحية.. ويخبرنا

بأن جده كان حريصا على أن يتفرغ أبوه لدراسة اللاهوت اليهودى ليصبح "راعيا" فى المعبد .. فهذه مهنة قديمة تجرى فى العائلة منذ زمن طويل.. ولكن أباه استطاع أن يتنصل منها.. ثم يكشف لنا عن حقيقة أخرى وعتها ذاكرته عن خرق هذا التقليد العائلى الموروث.. ولكن بشكل أكثر عنفاً وتمرداً.. فهو يذكر لنا واحدا من أجداده لم يخن التقاليد فحسب، بل ترك دين آبائه واعتنق المسيحية.. يقول ـ عن ذلك ـ محمد أسد! لم يكن اسم جده هذا يذكر في الوسط العائلى إلا فيما ندر.. وقد علمت أنه كان يعمل راعيا في المعبد.. ولكنه كره هذه المهنة حيث إنها لم تكن تدر عليه ما يكفى من المال لتوفير حياة كريمة فى ذلك الزمن (النصف الأول من القرن التاسع عشر) ومن ثم كان يذهب إلى مدينة " ليبزج" مركز تجارة الفراء فى أوربا ليشترى ويبيع ويكسب بعض المال.

كان متزوجا من امراة لم يحبها.. ولعله أراد أن يتخلص من المهنة الشحيحة والمرأة الكريهة فأخذ حصانه والعربة إلى ليبزج فى إحدى المرات.. وهناك باع العربة والحصان ثم هاجر إلى انجلترا ولم يعد.. استطاع هناك أن يكسب عيشه من بعض الأعمال اليدوية المتواضعة.. ولكنه فى نفس الوقت انخرط فى دراسة علم الفلك والرياضيات فى المساء.. ووجد هناك من اكتشف مواهبه فأعانه على إتمام الدراسة فى جامعة أكسفورد.. وهكذا أصبح عالما ومفكرا متميزا.. وتحول إلى المسيحية ثم أرسل ورقة الطلاق إلى زوجته اليهودية وتزوج واحدة من "الأميين" .. ولم يعرف عن حياته - بعد هذا - شئ أكثر من أنه اشتهر كعالم فى الفلك وانتهت حياته كأستاذ بالجامعة.

يقول محمد أسد : لعل هذه الواقعة المأساوية هى التى دفعت جدى ليتخذ موقفا متشددا رافضا لأى دراسة أخرى يقوم بها أبى لعلوم غير يهودية ... ولكن أبى لم يكن مهيئاً نفسيا لمهنة كهنوتيه فكان يدرس التلمود كارها بالنهار ثم يدرس أشياء أخرى يحبها فى المساء.. فلما تقدم إلى امتحان البكالوريا نجح فيه بامتياز.

وبالشهادة فى يده ذهب ليواجه جدى بالحقيقة فاضطر جدى للسماح له بحضور الجامعة.. ولكن ظروف العائلة المالية لم تكن لتسمح له بدراسة العلوم الطبيعية فاتجه مضطراً لدراسة القانون...

لقد ولدت هذه التجربة إحباطاً شديدا له دفعه لأن يحاول تحقيق حلمه الضائع عن طريق ابنه "ليو بولد فايس" (محمد أسد) ولكنه أخفق مرة أخرى فقد كان الشاب عازفاً عن دراسة العلوم الطبيعية والرياضية .. وفى هذا يقول : "لم أكن غبيا.. ولكنى كنت تلميذا عديم الاكتراث فقد كانت هذه العلوم باعثة على الملل فى نفسى .. وإنما وجدت نفسى منجذباً إلى دراسة الآداب والشعر الرومانسى.. ومن ثم خاب أمل أبى مرة ثانية.. فاكتفى بتفريط أساتذتى لتفوقى فى الآداب الألمانية والبولندية والتاريخ... وكعادة الأسرة كان على أن أتلقى فى المنزل دروسا فى أساسيات عقائد الديانة العبرية.. ولم يكن هذا لأن أبواى ملتزمان دينيا وإنما بحكم العادة الجارية فقط.. فقد كانا ينتميان إلى جيل وزمن

انحدرت فيه فكرة الدين فى أوربا إلى واحد من أمرين :

١- إما مجرد شعائر جافة تؤدى بحكم العادة تمشيا مع تراثهما الدينى التقليدى..

٢- أو لا مبالاة ساخرة من جانب الأغلبية الأكثر تحررا من الذين اعتبروا الدين خرافة بالية عفا عليها الزمن... لم يقطع هؤلاء صلتهم بالشعائر الدينية نهائياً ولكن كانوا يمارسون بعضها على مضض وهم يشعرون بالعار والخجل بينهم وبين أنفسهم ؛ لأنها فى حسبانهم شعائر لاعقلانية ..

يقول محمد أسد كان أبواى ينتميان إلى الفئة الأولى.. وإن كنت أشعر أن أبى كان أكثر ميلا إلى الفئة الثانية.. ويبدو تناقضه واضحا فى إصراره على أن أهتم بقراءة الكتاب المقدس ... وهكذا ما كدت أبلغ الثالثة عشرة من عمرى حتى كنت أجيد اللغة العبرية قراءة. وأتحدثها بطلاقة ملحوظة .. وأجدت إلى جانب ذلك اللغة الآرامية.. اكتسبتها بالسرعة التى اكتسبت بها اللغة العربية فيما بعد. درست التلمود فى مكوناته (المشناه والجماره) .. وأصبح كل هذا مألوفا عندى ميسرا.. حتى إننى استطعت أن أناقش بثقة كاملة الفروق بين التلمودين البابلى والفلسطينى وقد استغرقت فترة طويلة فى دراسة الترجمة الآرمية للكتاب المقدس المسماه (ترجوم) "كأننى أتهيأ لوظيفة حاخام".

فماذا كانت حصيلة هذه الدراسات اللاهوتية العميقة ؟ يقول محمد أسد : لم أتوقف كثيرا عند التعاليم الأخلاقية فى كتاب العهد القديم ولا عند الإيمان القوى بالله لأنبياء بنى إسرائيل. ولكن استوقفتنى فكرة الألوهية فأطلت النظر فيها حيث تبين أن إله العهد القديم والتلمود كان معنياً عناية غريبة بالطقوس والشعائر التى يفترض فى العباد أن يقوموا بها.. إنه مشغول بشكل مستغرب بمصير شعب واحد هو العبرانيين.. فالعهد القديم يصور (الإله) ليس بصفته الخالق الراعى لكل البشر. ولكنه إله قبلى سخر كل مخلوقاته للشعب المختار .. يمنحهم النصر إذا صلحوا واستقاموا ويعذبهم على يد الكفار إذا انحرفوا عن الطريق الذى رسمه لهم.. وهكذا تجرد العهد القديم من فكرة الرسالة العامة الشاملة لكل البشر"..

هنا يرينا محمد أسد أن هذه الفكرة القاصرة عن الله التى توصل إليها من دراسته التوراتية المتعمقة هى التى أبعدته ولم تقربه من ديانة الجداد.. فقد أحدثت عنده أثرا عكسيا على خلاف ما كان أبواه يتوقعان ..

ثم يتدارك فيقول : "ولكن هذه الدراسة فى سنوات لاحقة كانت نافعه لى بشكل آخر ؛ إذ إنها ساعدتنى على أن أفهم الغاية الأساسية التى يتطلبها الدين أيا ما كان هذا الدين"... ثم يتابع " : فى ذلك الوقت المبكر لم تدفعنى خيبة أملى فى اليهودية أن أبحث عن الحقائق الروحية فى ديانات أخرى.. بل وجدت نفسى منساقاً مع شبان آخرين فى تيار إلحادى يرفض كل المؤسسات الدينية... ولأن دينى لم يكن فى نظرى أكثر من مجموعة من القيود والممنوعات فلم أشعر - بعد انصرافى عنه - أننى افتقدت شيئاً ذا قيمة أو أصبحت أسوأ عن ذى قبل.. فالأفكار الدينية والفلسفية

برمتها لم تكن ـ عندئذ ـ لتعنيني كثيرا.. وإنما كنت أتطلع مثل الشبان الآخرين من أقراني إلى الحركة والمغامرة والإثارة والمتعة. "...

حيرة العقل والروح :

كانت العقود الأولى من القرن العشرين تتأرجح فى فضاء روحى فكل القيم الأخلاقية التى اعتادتها أوربا لقرون ماضية اهتزت واضطربت تحت تأثير الأحداث التى وقعت خلال الحرب العالمية الأولى بين ١٩١٤ و ١٩١٨ ولم يكن هناك أى أثر لقيم بديلة... ومن ثم ساد شعور بالمرارة وعدم الأمن فى محيط فكرى واجتماعى مضطرب.. وبدا أن كل شئ ينداح فى جيشان لا شكل له.

كان الشباب يعانون اضطرابا روحيا فلا يجدون مستقرا لمواقع أقدامهم.. يقول محمد أسد : فى غياب قيم أخلاقية موثوق بها لم يستطع أحد أن يقدم للشباب إجابة شافية عن التساؤلات التى كانت تحيرنا.. فالعلم يقول إن المعرفة هى كل شئ متجاهلاً حقيقة أن المعرفة بدون وازع أخلاقى يمكن أن تؤدى إلى فوضى مهلكة .. كان الإصلاحيون والثوريون والشيوعيون جميعهم يريدون عالما أفضل وأسعد.. ولكنهم كانوا يفكرون فقط فى الظواهر الخارجية للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية.. ولكى يعوضوا النقص فى مذاهبهم الفكرية رفعوا تفسيرهم المادى للتاريخ إلى مستوى الميتافيزيقا.. وهكذا جعلوا أكبرهمهم أن ينسبوا إلى الألوهية صفات مستخلصة من عاداتهم الفكرية.. علما بأن هذه العادات الفكرية قد أصبحت قوالب جامدة خالية من المعنى.. أما نحن الشباب فكنا نرى هذه الصفات الإلهية التى يفخرون بها متعارضة، بل متناقضة مع ما يحدث أمامنا فى العالم، وكان هذا يعنى لدى الشباب أنه لا إله !

كنا نعتقد أن أساس كل هذه الفوضى الفكرية والروحية يرجع إلى أن حراس الأديان قد ألبسوا الإله ثيابهم هم فحجبوه بذلك عن البشر. وما ذلك إلا لأنهم أعطوا أنفسهم الحق فى تعريف الألوهية بحسب أهوائهم.. وقد أدى هذا الاضطراب الشامل بكثير من الناس إما إلى فوضى أخلاقية كاملة أو دفعهم للبحث عن مقترب شخصى اجتهدوا فيه للوصول إلى مايمكن أن يشكل معنى (للحياة الطيبة) ".

محاولات فاشلة :

من هذا المنطلق شرع محمد أسد يدرس تاريخ الفن على أمل أن يجسد فيه تلك الوحدة "الجوانية" لأجزاء هذا العالم التى تبدو فى ظاهرها ممزقة مفككة.. ولكنه أصيب بخيبة أمل كبيرة ؛ لأن أساتذته كانوا يركزون على الجوانب الشكلية "البرانية" التى تؤلف العناصر والمقومات الجمالية.. وكان هو يعتقد أن هذا مقترب خاطئ لفهم الفن ؛ لأن الفنان الحقيقى فى رأيه يتحسس النبضات الروحية فى أعماق الأشياء الظاهرة.. ولا يتوقف عند الأشكال البرانية للأشياء.. فلما يئس محمد أسد من هذا الباب أغلقه وانصرف إلى دراسة "التحليل النفسى"وكانت مدرسة "فرويد" فى التحليل النفسى قد اشتهرت وانتشرت. بل فجرت ثورة فى الفكر الإنسانى باكتشافها أن الدوافع اللاشعورية الكامنة، والتى تشكلت فى الطفولة

الأولى هى التى تتحكم فى سلوك الإنسان على مدى حياته اللاحقة.

كانت المناقشات الجارية بين المثقفين فى مقاهى فيينا تدور حول القضايا الجديدة التى أثارتها مدرسة فرويد.. وكان محمد أسد يلتقى - فى إطار هذه المناقشات - مع رواد مدرسة التحليل النفسى من أمثال "ألفرد أدلر" و"هرمن ستيكل" و"أوتوكروس" .

يقول محمد أسد : لم أعترض على مبادئ التحليل النفسى ولكن لم تعجبنى الغطرسة التى يبديها أتباع هذه المدرسة.. فقد اختزلت نفسية الإنسان إلى مجرد ردود أفعال عصابية مرضية.. وفوق ذلك لم يكن لديهم أى شئ يهدينا إلى الحياة الطيبة أو النفسية السوية غير المرضية المجردة قدر اهتمامى بالأشياء المرئية المحسوسة.. وأقصد بذلك الناس والأنشطة والعلاقات الإنسانية"...

فى تلك الظروف بدأ محمد أسد يتنبه إلى العلاقة بين الرجال والنساء. وكيف أصابها تغيير شامل بعد الحرب. فقد انهارت الحواجزالتقليدية التى كانت تحول بين اختلاط الجنسين وانطلقت فكرة النسبية الأخلاقية على يدى الفيلسوفين نيتشة وشبنجلر.. وشرع الناس يكتبون بجرأة عن حرية الجسد والمتعة الجسدية.. وقد انعكست هذه الأفكار فى حياة محمد أسد العقلية فتضخمت لديه مشاعر القلق وجعلت متابعته للدراسة الجامعية أمرا صعبا فقرر هجر الدراسة متطلعا إلى فرصة للكتابة الصحفية.. وفى يوم من أيام صيف سنة ١٩٢٠ ركب القطار وودع فيينا.. ولم يكن معه من المال سوى خاتم من الماس ورثه عن أمه.. لم تكن الحياة فى برلين سهلة فقد اضطر للعمل فى غسل الأطباق بالمطاعم.. ولكنه فى أثناء ذلك كان يتجول فى دور الصحف ويلتقى برؤساء التحرير.. وظل يمارس الجوع والتشرد حتى خريف١٩٢١ عندما تمكن من اختراق أسوار الصحافة عندما أسند إليه أحد رؤساء التحرير وظيفة عامل تليفون. ولكن من نوع خاص فقد كانت مهمته بث الأخبار إلى عدد من الصحف المحلية.

وفى ذات يوم هبطت عليه فرصة نادرة فقد جاءت زوجة الأديب الروسى مكسيم جوركى فى زيارة إلى برلين وحرصت على أن تخفى نفسها تماما عن أعين الصحفيين.. ولكن ساعد محمد أسد صديق له على لقائها وتسجيل حديث صحفى معها.. وكان نشر نتائج هذا اللقاء ضربة صحفية ناجحة فقد انفتحت أمامه أبواب الشهرة الصحفية كما فتحت له الأبواب المغلقة للكتابة الصحفية.

كان التحاق محمد أسد بالعمل فى الصحافة نقلة هامة فى مجرى حياته. لا من حيث إنها كانت مصدرا لخبرات واسعة وثقافات غنية بقدر ما كانت مركبته فى رحلته إلى الشرق حيث بدأ شوطه الأخير والطويل الذى استقرت فيه روحه بصفة حاسمة ونهائية على أرض الحرمين الشريفين بمكة والمدينة.

وأود أن أسجل هنا أن وصف محمد أسد للأوضاع المضطربة فى أوربا بعد الحرب العالمية الأولى ينطوى على ملامح قوية من أوضاعنا المضطربة فى العالمين العربى والإسلامى خلال العقد الحالى من القرن الواحد

والعشرين.. أى بعد قرن من الزمان تقريبا.. وإذا كانت تلك الأوضاع قد أسهمت فى تمهيد الطريق لحرب عالمية ثانية فى أوربا . فإننى أتوجس خيفة من أن تنتهى الأمور عندنا إلى ثورة عمياء، تأكل الأخضر واليابس ما لم يتداركنا الله برحمته!...

فماذا يقول محمد أسد ؟ : كانت أياما غريبة ومتقلبة فى بداية القرن العشرين. فقد انتشرت ديانة جديدة يمكن أن نطلق عليها اسم "عبادة التقدم المادى" .. تتمثل معابدها فى المصانع الكبرى ودور السينما ومعامل الكيمياء.. وصالات الرقص والأعمال الهيدرو إلكترونية.. أما قساوستها فكانوا رجال المال والبنوك والسياسيين والمهندسين ونجوم السينما ورجال الإحصاء ورجال الصناعة.. ومع ظهور هذه الديانة العجيبة تفشى الانهيار الأخلاقى فى كل مكان وبرزت خلافات عميقة حول معنى الخير والشر.. وخضعت القضايا الاجتماعية والاقتصادية لقاعدة السرعة.. وانتشرت ظاهرة إمرأة الشوارع التى تهب نفسها بالأجر لأى طالب متعة حيثما شاء.. وأصبح السعى دائبا نحو المتعة والشهوات الشخصية وقد أدى هذا بالضرورة إلى انشقاق فى المجتمعات وتصادم بين الأفراد حيثما تعارضت المصالح والأهواء.. وفى المجال الثقافى تربعت النفعية المطلقة على عرش الفكر الأوروبى.. وأصبح المقياس الوحيد للحق والباطل هو النجاح المادى".

فى هذا المناخ شعر محمد أسد بالاضطراب والتعاسة وهو يرى كيف تتمزق العلاقات الحميمة بين الإنسان وأخيه الإنسان رغم الهستيريا الدائرة فى الإعلام حول مزاعم ودعوات وحدة الأمة والتحام المجتمعات وضم الصفوف!..

كان هناك أناس يحلمون بمستقبل أفضل ولكن محمد أسد لم يستطع أن يشاركهم فى هذه الأحلام، بل شعر بأنه لاينتمى إليهم فى حقيقة الأمر.. وظل هذا الشعور يتنامى فى أعماقه مصحوبا برغبة غائمة ضبابية عبر عنها بقوله : "كنت لا أدرى إلى من أنتمى أنا إذن ! بمعنى أننى كنت تواقاً إلى أن أكون جزءاً من كيان آخر.. هو ماذا ؟ لا أدرى"!...

الصورة المقولبة للإسلام فى أوربا:

من المهم أن نتابع هنا حديث محمد أسد وهو يصف لنا الإسلام كما وقعت صورته فى إدراكه عند هذه النقطة من تطوره الروحى والفكرى حيث يقول : لقد نشأت فى أوربا وفى قلب الثقافة الأوربية .. وكل ما كنت أحلم به هو ان أجد فى إطار هذه الثقافة نفسها تطوراً ما لحياتى العقلية والروحية.. وأن أحقق ما أصبو إليه من مغامرات.. ومثل كل الأوربيين درجت على فكرة أن الإسلام وكل ما يمثله هذا الدين ليس أكثر من معبر رومانسى فى التاريخ الإنسانى سرعان ما تجاوزته البشرية.. ومثل كل الأوربيين كنت أنظر إلى الإسلام باعتباره دين

بدائيا قاصراً من الناحيتين الروحية والأخلاقية.. ولا يمكن مقارنته بعمق ورحابه الديانتين الأوربيتين المسيحية واليهودية.. فهما وحدهما يمكن أخذهما مأخذ الجد... بهذه الرؤية الضبابية عن الإسلام بدأت رحلتى إلى بلاد الشرق الإسلامى فى صيف سنة ١٩٢٢، وبهذه الرؤية التى حملتها معى ركبت السفينة متوجها إلى الشرق الأوسط".

انطباعه عن مصر وسيناء:

فى أثناء رحلته بحراً تعرف محمد أسد وهو على ظهر السفينة بقسيس نصفه بولندى ونصفه الآخر فرنسى واسمه الأب فيلكس. كان ذاهبا إلى مصر ليتولى تدريس التاريخ فى كلية بالإسكندرية.. ودار بينهما نقاش حول المسيحية.. وعن الجسد من حيث إنه كان سبب سقوط الانسان فى الخطيئة الأولى.. وأنه هو العائق أمام الروح للوصول إلى الحرية والخلاص والعودة إلى أصلها الإلهى..

ولكن محمد أسد كان يرى شيئاً خاطئاً فى التمييز بين الروح والجسد ؛ ذلك لأنه لم يكن يرى مبررا لحرمان الجسد وقهره. وكان يحلم بشكل من الحياة يستطيع الانسان فيه أن يحيا بكليته روحا وجسداً.. بحيث لا تكون فيه عداوة بين الروح والحواس.. وإنما يتحقق للروح حريتها بانطلاقها من علائق الجسد.. وهذا هو معنى الخلاص المسيحى الذى ضحى المسيح بنفسه - حسب زعمهم - لتحقيقه.

وهنا يوجه محمد أسد سؤالاً محوريا إلى الأب "فيلكس" حيث قال : تزعم أن الانسان لايستطيع أن يصل إلى الإيمان بقدراته العقلية وحدها، وأن الرب هو الذى يفتح عليه به.. ولكن كيف يصل الإنسان إلى الإيمان وهو لا يؤمن أصلاً بهذا الرب؟.. تقول يصلى لكى يفتح الله عليه! وأقول كيف يصلى من لا إيمان له !؟.. إنك تضعنى فى حلقة مفرغة ولا تعالج مشكلتى"... هز الأب فيلكس كتفيه وقال : إذا لم تستطع آخر يرشدك.. شخص يمتلك هذه التجربة.. لم يقتنع محمد أسد بكلام الأب فيلكس فانصرف عنه وانشغل بشئون رحلته. وعندما وصلت السفينة إلى ميناء الإسكندرية بدأ يهيئ نفسه لينتقل إلى الشوط التالى من رحلته إلى فلسطين مباشرة فركب القطار المتجه إلى سيناء..

عبر القطار دلتا مصر فى طريقه شرقا إلى سيناء، وفى أثناء ذلك يرى محمد أسد لأول مرة فى حياته صورا من الشرق مختلفة عن كل ما ألفه فى حياته السابقة كلها.. كان يطل من نافذة القطار فيرى عالما غريبا كأنه فى حلم: الترع والمصارف والقرى والبلدان الصغيرة الكثيرة.. والمنازل الطينية الرمادية اللون كأنها صناديق كبيرة عليها أكوام القش.. ومحصول القطن الأبيض يجمع فى الحقول.. ومساحات واسعة من قصب السكر.. ونخيل كثيف يحيط بالمساجد.. ومآذن مبثوثة على طول الطريق..

وعند الغروب يعود الفلاحون بخطى متثاقلة إلى بيوتهم بعد عناء يوم طويل من العمل.. كان الهواء خفيفا لطيفا رائقاً تحت سماء عالية زرقاء كأنها البلور. وعلى ضفاف الترع يرتفع نبات البوص الذى يتمايل مع

هبات الهواء.. ونسوة يتشحن بالسواد ويحملن على رءوسهن جرار الماء الفخارية.. نسوة رائعات رفيعات القوام تذكرك بنباتات البوص طويلة السيقان وهى تتمايل مع هبات النسيم ولكنها ممتلئة بالقوة والحيوية، وكذلك تفعل النساء وهن يحملن جرار الماء فوق رءوسهن تتحكم فيها رقاب قوية مرنة.. وقد امتدت أذرعهن على الجانبين فى حركات رشيقة تحافظ على وضع الجرار فوق الرءوس.. فى مشهد هو أشبه بالسباحة الطليقة فى الهواء.

يقول محمد أسد : هذه الحركات فى مجموعها للرجال والنساء والنبات تعطى مشهدا عاما ناعما يتساوق مع حركة الضوء المتراجع مع الهبوط التدريجى لعتمة المساء على دلتا النيل ونحن نقترب من وقت غروب الشمس.. حيث اختفت عن ناظرى حركات الفلاحين متسربلة بغبشة الغروب ولكن تبقى آثارها فى خيالى تتأرجح كأنها أنشودة دينية هادئة."

وصل محمد أسد إلى بلدة القنطرة على قناة السويس وكان ينتظر معه فى محطة القطار بعض البدو من سيناء.. ولأول مرة يرى قوافل الإبل وهى محمله بالسلع.. ويشعر لأول مرة بالدفء المنبعث من أجسامها القريبة منه.. ويشم رائحة الحيوان العجيب فيصفها بأنها كانت رائحة جميلة وثقيلة كالخمر.. ثم يتابع ذكرياته فيقول لا زلت أتذكر كيف انبثق الفجر فى صفحة السماء بصحراء سيناء وكيف بدأت التلال الرملية تبرز تدريجيا من قلب الظلمة الساجية فى صفحة الأفق وتترى أمام ناظرى خلال نافذة القطار. ثم تتخذ أشكالها بوضوح تحت أشعة الشمس المشرقة.. كانت لرحلة القطار من القنطرة إلى غزة متعة فريدة، فالراكب يشاهد على طول الطريق صحراء سيناء على يمينه ومياه البحر الزرقاء على يساره والشمس مشرقة فى سماء صافية.. حتى إذا وصل القطار إلى العريش يطالعك منظر النخيل المنتشر على امتداد البصر.. وهكذا تتعانق فى مشهد واحد رمال الصحراء ومياه البحر وزرقة السماء وصفوف النخيل تحت أشعة الشمس الجميلة.. مشهد بالغ الإثارة... عندما توقف القطار فى محطة العريش اندفع نحوه عدد من الأطفال يحملون سلالا بها بيض وتين وخبز يبيعونه للركاب...

يقول محمد أسد : كان يجلس أمامى بدوى ففتح نافذة القطار واشترى رغيفا وبينما يهم بالجلوس لمحنى أجلس أمامه فشطر رغيفه نصفين وقدم إلى نصفه فى صمت.. فلما لاحظ ترددى ودهشتى ابتسم لى ونطق بعبارة " تفضل " فلم أفهم معناها ولكنى شعرت أنها دعوة جادة منه لأشاركه فى الطعام. فتناولت الخبز منه وشكرته بالانحناء.. كان هناك شخص آخر يراقب المشهد.. رجل يرتدى بذلة وعلى رأسه طربوش.. تطوع يشرح لى بإنجليزية ركيكة فقال : أنت مسافر وهو مسافر مثلك فأنتما مشتركان فى هدف واحد.. لذلك يريد أن يشاطرك الطعام"..

يعقب محمد أسد على هذه الواقعة فيقول : " يبدو لى أن حبى للشخصية العربية الذى اكتسبته فيما بعد كان متأثراً بهذا المشهد الافتتاحى. ففى المبادرة العفوية لهذا البدوى

معنى عميق يلمس شغاف القلب.. فقد استطاع بسلوكه الفطرى أن يجتاز كل حواجز الغربة واللغة ليستشعر الصداقة الإنسانية مع رجل صحبه فى رحلة عابرة.. وهو يعبر عن هذا الشعور باقتسام رغيف الخبز فيما بينهما.. لقد شعرت حينها بأننى أمام روح طليقة وسلوك متحرر من القيود والأوزار."

فى محطة غزة همّ البدو بالنزول فحياه محمد أسد بابتسامة عريضة.. وكان فى استقباله بدويان آخران سلما عليه بترحاب كبير وقبلاه فى وجنتيه.. ثم جاء التاجر الحضرى (الأفندى) فأخذ محمد أسد من يده قائلاً : "أمامنا بعض الوقت قبل أن يتحرك القطار فلننزل هنا لنشاهد هؤلاء الناس.. إنهم بدو من الحجاز".. يقول محمد أسد : لقد رحب البدو بنا بلا تحفظات.. وشعرت بينهم براحة نفسية. فقد كان هناك جو من الألفة النفسانية ترفرف على الجميع جعلتنى أشعر برغبة قوية فى فهم حياة هؤلاء البدو.. كان الهواء يهب علينا جافا لطيفاً فيخترق الأجسام ويذيب التشنجات ويمتزج بالأفكار فيبطئ من حركتها ليجعلها أقرب إلى الركود.. ويسيطر على الجو شعور بتوقف الزمن.. وأن كل الأشياء.. مايُرى منها ومايسمع ويشم أو يُستنشق لها مذاق مختلف وقيم متميزة متفردة بذاتها.. وبدأ ينبثق فى عقلى فكرة أن هؤلاء الناس الذين يسكنون الصحراء لابد أنهم يدركون الحياة بطريقة مختلفة عن بقية البشر فى أى مكان آخر بهذا العالم.. لابد أنهم متحررون من كثير من الهواجس المستبدة.. ربما متحررون أيضاً من كثير من الأحلام التى تلح على عقول سكان المناطق الباردة الغنية الذين يحلمون بالأموال والقصور والضياع.. لابد أن هؤلاء الصحراويين لديهم معايير مختلفة للحياة وقيم مختلفة للأشياء عن بقية العالم".

يقول محمد أسد مؤكدا على هذا الخاطر: ربما كانت هذه المناسبة التى وضعت أمامى بدو الصحراء العربية وجها لوجه إرهاصاً لما سيجرى فى حياتى بعد ذلك من أحداث جسام أعادت تشكيل مصيرى ومستقبل حياتى كلها.. إرهاص بعالم كان لايزال حينذاك غامض الهوية بلا حدود تميزه. وإن كنت أدركه على نحو ضبابى بأنه عالم داثرى ملتف حول نفسه ومفتوح من كل جوانبه.. عالم سرعان ما سيتحول إلى عالمى الخاص..

هذا الإرهاص الذى قد يحدث لك مثله أشبه بحالة جَوانية من التوقع لشئ ما شديد الإبهام.. فإذا وقع بالفعل وتميزت لك حدود صورته وتفاصيله بعد ذلك قلت فى نفسك أليس هذا ماتوقعته من قبل ؟ إنه لكذلك !!.

وأسأل نفسى : هل هذا استطراد واستقصاء لتفاصيل بلا هدف أو مبرر؟ وأجيب : لا .. وحسبى أنها محاولة مخلصة للإبحار فى عقل عميق الأغوار لإنسان كدح جاهدا فى البحث عن الإيمان الحق الذى يستريح له عقله وتستقر به روحه المضطربة.. إبحار فى عقل يبحث عن ذاته وقد تجردت من كل شئ إلا الفطرة التى فطرها الله عليها.. وهكذا أواصل إن شاء الله متابعة محمد أسد فى طريقه إلى مكة ..

محمد يوسف عدس
مستشار سابق بهيئة اليونسكو

هل توجه أمريكا ضربة عسكرية لإيران ؟!

أهم سؤال فى الشرق الأوسط اليوم ليس من يخلف إميل لحود رئيساً للبنان، كما يعتقد اللبنانيون، وإنما هل توجه إدارة بوش ضربة عسكرية للمنشآت النووية الإيرانية؟

ثمة اتفاق على أن الضربة، إذا حصلت، ستكون عبر غارات جوية مكثفة وصواريخ، وبعد ذلك اختلاف كبير، فهناك من يرجح الضربة، وهناك من يتمنى الضربة، وهناك من يعارضها أو لا يريدها .

لعل أدق كلام سمعته عن إيران وأميركا والمواجهة العسكرية المحتملة كان من الشيخ خالد بن أحمد بن محمد، وزير خارجية البحرين، فهو قال أنه إذا وجهت ضربة عسكرية إلى إيران فسندفع ثمنها مع إيران، وإذا اتفقت أميركا وإيران فستتفقان على حسابنا، ويبقى أن نرى ما هو الأقل ضرراً على البلدان العربية، ضربة عسكرية أميركية، أو اتفاق أميركى - إيرانى .

أعرف أن فى الجمهورية الإسلامية أطماعاً فارسية لم يطوها التاريخ، وأقدر تماماً قلق الجيران من نيات طهران، لكننى أعارض بشدة كمواطن عربى يملك حرية إبداء رأيه، أى ضربة عسكرية أميركية أو غيرها لإيران، وأكتفى بتقديم سبب واحد طاغ للمعارضة هو أن الذين يقودون الحملة لضرب إيران هم أعداء معروفون للعرب والمسلمين جميعاً، من عصابة إسرائيلية ستضحى بالولايات المتحدة نفسها لفرض هيمنة إسرائيل على الشرق الأوسط كله.

عصابة الحرب بقيادة نائب الرئيس ديك تشينى، وهو ليس من المحافظين الجدد، وإنما هو يريد إمبراطورية أميركية تفرض نفسها على العالم كله، وقد التقت طموحاته، أو أحلامه، مع تخطيط المحافظين الجدد ضد إيران والعرب والمسلمين جميعاً .

عراب المحافظين الجدد هو المتطرف القديم نورمان بودهوريتز، كتب مقالاً لئيماً فى "وول ستريت جورنال" فى ٢٠٠٧/٥/٣٠ عنوانه "القضية لضرب إيران : آمل وأصلى أن ينفذها الرئيس" دخل فى الخرافة، وهو يحذر من محرقة أخرى، ويقارن بين إيران وألمانيا النازية. وكنت أشرت إلى هذا المقال فى حينه فلا أعود إليه، وإنما أسجل أننى بعد رجوعى إلى لندن من الولايات المتحدة وجدت على مكتبى مقابلة صحافية إنكليزية مع بودهوريتز تحدث فيها عن اجتماع له فى الربيع الماضى مع الرئيس بوش ومساعده كارل روف شكا فيه من عبث إعطاء الديبلوماسية

فرصة، فانفجر بوش وروف ضاحكين على حد زعمه، ما جعله يفهم أن الرئيس يعرف أن الديبلوماسية ستفشل وهو يعد لضربة عسكرية.

أرجو أن ينسى القارئ الموضوع الإيراني لحظة ويركز معي على المحافظين الجدد، أو عصابة إسرائيل .

بودهوريتز يعتقد أن بوش سيضرب إيران قبل نهاية ولايته، وآخر كتاب لهذا المتطرف هو "الحرب العالمية الرابعة : الكفاح الطويل ضد الإسلام الفاشستي"، فقضيته هي الإسلام والمسلمون لا إيران وحدها، ونورمان بودهوريتز متزوج من ميدج ديكتر، المتطرفة مثله، وابنتهما راشيل هي زوجة ايليوت إبرامز، بطل فضيحة إيران/كونترا وممثل إسرائيل في مجلس الأمن القومي. ولنورمان بودهوريتز ابن يكتب عموداً يمينياً خالصاً في "نيويورك بوست" وتستضيفه شبكة فوكس نيوز بانتظام.

ثم هناك ديفيد وورمز الذي عمل مع بول وولفوفيتز ودوغلاس فايث في تلفيق أسباب الحرب على العراق في وزارة الدفاع وحاول جهده ربط صدام حسين بإرهاب ١١/٩/٢٠٠١، وانتقل بعد ذلك إلى مكتب تشيني "خبيراً في الشرق الأوسط" وترك قبل شهر ليعود إلى مراكز، أو عصابات، البحث اليمينية .

ديفيد وورمز متزوج من الإسرائيلية ميراف التي جاءت مع الكولونيل في الاستخبارات الإسرائيلية إيغال رامون إلى واشنطن بعد فوز بنيامين نتانياهو بالانتخابات الإسرائيلية سنة ١٩٩٦ وأسسا شركة ميمري للترجمة التي تترجم انتقائياً عن المتطرفين العرب (تترجم بدقة) وتوزع على المسئولين الأميركيين والعالم .

دوغلاس فايث بن دالك وقد منحتهما المنظمة الصهيونية وساماً لخدماتهما لإسرائيل. وهناك الآن دانيال بايبس صاحب "مراقبة الإسلاميين" وهو ابن ريتشارد بايبس الذي مارس تطرفه مستشاراً لرونالد ريجان .. ومع هؤلاء مايكل ليدين الذي طالب دائماً بضرب إيران، ولا نزال نحاول معرفة إن كان له دور في تزوير أوراق النيجر في روما حيث عمل يوماً واعتبرته الاستخبارات الأميركية عميلاً لإسرائيل .

وما دمنا في "العوائل الكريمة" فهناك دونالد كاغان البروفسور المتطرف الذي أنجب ابنين مثله هما روبرت وفردريك، والأخير صاحب الدراسة "اختيار النصر: خطة للنجاح في العراق" التي قرر جورج بوش على أساسها زيادة القوات في العراق.

وضاق المجال وهناك مئة اسم اختار منها ايرفنغ كريستول، مدير تحرير "كومنتري" في حينه، الذي تزوج جيرترود هيملفارب وأنجبت له وليام، رئيس تحرير "ويكلي ستاندارد" الناطقة باسم المحافظين الجدد.

هؤلاء جميعاً ليسوا أعداء إيران وحدها، وإنما أعداء العرب والمسلمين جميعاً، وكثيرون منهم دينوا بتسريب معلومات سرية لإسرائيل، ثم عادوا إلى مناصب حكومية، ووقعوا رسائل إلى بيل كلينتون وجورج بوش لمهاجمة العراق. وهم يريدون إيران اليوم. وغداً البقية الحيّة منا.

جهاد الخازن

عن جريدة الحياة اللندنية

الشاعر عبد الرحمن يوسف المسبحة والمذبحة

هذا مقال أرانى الله فيه عجائب قدرته، إذ بدأته أنتوى أمرا، وأقصد اتجاها ثم شاء الله أن أسير فى عكسه، والله يفعل ما يشاء.

منذ شهور وأنا أنتوى الكتابة عن شاعر مجيد فى شعره السياسى، عرفته عندما أهدانى بعض دواوينه الشيخ أحمد سليمان الدبشة، وهو صديق وعالم أزهرى غزير العلم واسع المعرفة، عالم بالشريعة جامع للفقه ملم بتفاصيل الواقع، مستوعب لمقاصد المعارف، ذو معرفة ضافية بالشعر والأدب والتاريخ والسياسة، مبهر فى آرائه وتفتحه، وفى أصوليته فى نفس الوقت، وليس فى الكلام أى تناقض، فالمتفتح يجب أن يكون أصوليا وإلا ضاع، كما أن الأصولى يجب أن يكون متفتحا وإلا أضاع.

أهدانى الصديق جل دواوين الشاعر، ومنها عرفت موقعه على الشبكة العنكبوتية فشاهدت رسمه وعاينت سمته وسمعت إلقاءه وصوته. ومنذ ذلك الحين لم تسعفنى الحادثات على التفرغ له، وإن كنت قد تابعت الكثير من أعماله على الشبكة، وقليلا على الشاشات الفضائية، أما المدهش فقد كان احتفاء بعض القنوات المصرية به.

د. محمد عباس

واليوم أصطحب القارئ معي لنجول في عالم هذا الشاعر محتفلين به قدر ما نستطيع، مدركين ومذكرين أن أعظم الأحداث عند أسلافنا كان أن يولد في القبيلة شاعر، ومدركين أن الشاعر كتيبة صواريخ!، رجوت أن يكون خليفة للصحابي الجليل حسان بن ثابت رضي الله عنه وأن ينطبق عليه ما قاله حبيبي وسيدي ومولاي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه : "إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما ينافح (يدافع) عن رسول الله"، (أحمد والترمذي)، وقال له : "اهج - يعني المشركين - وجبريل معك" (البخاري)، وقال له : "اهج قريشًا، فإنه أشد عليهم من رشق النبل" (مسلم) .

فرحت بالشاعر إذن أيما فرحة، خاصة عندما بشرتني أشعاره الأولى بأنه يدافع بشعره عن الله ؛ عن الإسلام، وعن النبي صلى الله عليه وسلم. فلنحتفل بشاعرنا عبد الرحمن يوسف إذن، وليدرك القارئ الكريم أنني لا أصحبه إلى واحة للشعر، بل ميدان آخر لمعركة هائلة، ليست مجرد معركة الفكر والعقيدة، بل معركة الوجود الإنساني ذاته ..

أصطحب القارئ إلى جحيم من المعاني وبراكين يندفع منها سائل منصهر بلون الدم وكتل متمزقة ككتل أشلائنا البشرية المتناثرة في كل نقاط التماس بين وحشيين غادرين وعدو مزدوج، أقصد بين طواغيت الداخل وطواغيت الخارج، ولا تشغلن بالك أيها القارئ في التساؤل عن أيهما أخطر، فليسا إلا تجليا لشيء واحد، والعلاقة بينهما عضوية ووثيقة، وموقف هذا الطاغوت من الأمة والدولة والناس، هو ذات الموقف العنصري الاستشراقي من الهنود الحمر وسكان إستراليا الأصليين، والأمة المسلمة التي أبادها الروس، نعم، حملة إبادة سيقوم البعض القليل جدا منا بالمقاومة ضد محاولات إفناء الأمة وهدم الدولة وسحق الهوية، ولمجرد المقاومة سيتهم هذا البعض المجاهد النبيل بالإرهاب، ولسوف يطارد ويروع ويقتل أو يحاصر سواء كان الكفاح بالسلاح ؛ كداً وفراً أو قلماً وفكراً ، سوف يقاوم البعض، عندما يفشل الحكام وتولى الجيوش الدبر، وينهزم الجمع ، تحت قيادة رؤساء وملوك ما وضعوا إلا ليتضعوا وما تركوا إلا لينهزموا وإلا ليورطوا أمتهم في حرب خاسرة على الدوام، عندما يحدث ذلك، يتصدى أبطال للمقاومة بكل أشكالها المادية والمعنوية، ولولا هؤلاء الأبطال لاكتملت الهزيمة الشاملة في معارك الهزائم التي يصفها الشاعر في ديوانه الأخير"اكتب تاريخ المستقبل" بقوله :

"النَّصْرُ بِأَنْ تَجِدَ القَائِدْ !...
لا أَنْ تَقْضِي عَطَشَاً أَوْ تَحْتَ القَصْفِ
بِحَرْبٍ مِنْ طَرَفٍ وَاحِدْ "!

نحو وعى سياسى

إن الشاعر يكتشف ويكشف أن القائد خائن والرئيس عميل والأمير ضئيل والملك ضليل ، أما دور العواصم فيتبدل ما بين البطولة والخيانة فإذا بالقاهرة تسقط فى مستنقع طهران القديم وإذا بطهران تحتل موقع القاهرة الرائد القائد .

"هي الخيانة"

أمْسكْ دُمُوعَكَ أنْ ترْثِى لقَتْلانَا
فالدَّمْعُ يُوقِفُ رَدَّ الظُّلْم أحْيَانَا
ألْقِ العصَابَة عَنْ عَيْنَيْكَ تحْجُبُهَا
عَنْ رُؤيَة النَّار تَشْوِى وَجهَ لُبْنَانَا
هِيَ الخِيَانَةُ .. قَدْ أمْسَتْ مُجَسَّمَةً
فى ذى القيَادَة خصْيانا فخصْيَانَا
هِيَ الخيانةُ".. ضَبْطُ النَّفْس "منطقُها
وتجْلبُ الذُّلَّ خُسْرَانَا فَخُسْرَانَا
أمْسكْ قَوَافيكَ أنْ تُرْديكَ تهْلُكَة
تُهْدى المشَانقَ أشْكَالا وألوانَا
بالأمْس كُنَّا نَرَى فى العزِّ قَاهرَةً
واليومَ نَرْقُبُ نحوَ العزِّ طَهْرَانَا!"

يدرك الشاعر فى جلاء ويرى دون خفاء دور ولاة أمورنا ، ذلك أن مهمة القائد هنا ليست مواجهة العدو ولا رفع شأن الأمة، بل مهمته هى سحق الأمة ورفع شأن العدو، مهمته أن يحول شعبه إلى قطيع من الحيوانات والعبيد. يقول الشاعر فى ديوانه "لا شيء عندى أخسره: "

أنَا عَبْدُ المَأمُورْ...
وأبِى عَبْدُ المَأمُورْ...
وكَذلكَ جَدِّى الأكْبَرُ كَانَ
كَمَا يَرْوِى لِى جَدِّى العَاشِرُ
فى المَاضِى...
عَبْدَ المَأمُورْ !!!...

إن الشاعر يكشف سر المأساة والكارثة التى تحيق بنا.. ذلك أن الفرد توقف عن أن يدرك سمو موقعه كعبد لله الواحد القهار واستبدل الأدنى بالذى هو خير. أصبح الفرد المسلم عبدا للمأمور لا للآمر.. نعم.. للمأمور.. فالطاغوت هو الآخر عبد للأجنبى.. وهو ثور خوار إن واجهته القوة وطاغية جبار إن واجهه ضعف.. وهو لا يترفع عن رذيلة مهما كانت خستها إلا إن ردعه الخوف..

خَضَعَ الجبَانُ !...
لمَّا انْتَفَضْنَا اسْتَسْلَمَ الجَبَّارُ
مَذْعُورَ الجَنَانُ !

إن الشاعر المصدوم قد مزق الأغلال التى كانت تستر الحقيقة وتخفى بشاعتها فيصرخ:

لعن الله السياسة... وقصورا للرئاسة
ساكن القصر دواما... أكثر الناس نجاسة.

●●●

يؤكد الشاعر طيلة الوقت أن المشكلة تقبع فى القيادة، حيث يقول ذلك فى مقدمة ديوانه الثالث "فى صحة الوطن" - "دار التوفيق" الصادر عام ٢٠٠٤، والتى يؤكد فيها أيضا أن شعره فى ذلك الديوان لَيْسَ ضدَّ شَخْصٍ ، أو حُكُومَةٍ، أو نظَام بعَيْنه !..

ودعونا نفترض أو حتى نؤكد، إن لم يكن لأسباب منطقية فلأسباب قضائية، إن ما يقوله الشاعر عن هذا الديوان ينسحب على

بقية شعره .

يقول الشاعر في مقدمة ذلك الديوان :

"وحِينَ قَرَّرْتُ نَشْرَهُ
نَصَحَنِي الكَثِيرُونَ بِأَنْ لا أفْعَلْ. ! لذلكَ - وقطْعًا - سأتحمَّلُ نتيجَةَ نشْرِه وحْدِي، حَيْثُ إنَّ النتيجة سَتكُونُ رقمًا لا يَقبلُ القسمةَ إلا علَى شَاعر !..

أمَّا سَبَبُ تصميمي عَلَى نَشْرِه ، فلأنِّي لَسْتُ المُقَاتِل الذي يُطْلِقُ الطَّلْقَةَ .. بَعْدَ انتهَاء المعركَة !!

في هذا الديوان يمد الشاعر يده فيقبض على منطقة الألم، فالطاغوت الشيطان قد مسخ كل من حوله وحولهم إلى أداء عكس واجبهم تماما كما يمسخ السرطان خلايا الجسم السليمة لتؤدي عكس واجبها فتهدم الجسم بدلا من أن تبنيه وتقضي عليه بدلا من أن تغذيه.. يقول الشاعر في قصيدته "قَانُونُ الدَّوْلَة"!..

أدِّ السَّلامَ لحَضْرَة الضُّبَّاط
يَتَجَمَّلُونَ بِسَائرِ الأنْوَاطَ
ألْقِ السَّلامَ .. وقُلْ تَقَدَّسَ سِرُكُمْ
فُقْتُمْ جَمِيعَ الرُّسْلِ والأسْبَاطَ !!
خُصِيَتْ جُيُوشُ الحَقِّ قَبْلَ أوانِهَا
والفِكْرُ .. مَعهُودٌ إلى لوَاط (...)!!
نَمَطُ الطُّغَاة الحَاكمِينَ بِلَيْلِنَا
يَنْفِي دوَامًا سَائرَ الأنْمَاطَ
نَمَطٌ عَقِيمٌ ، مُسْتَبِدٌ ، أرْعَنٌ
ويَقُولُ : إنَّ النَّهْجَ ديمُقْرَاطِي !!

ثم ما يلبث أن يصرخ وقد برح به الخفاء ضد هذا الطاغوت المتأله، فيصرخ في قصيدة "إلى الأبَدْ ... "!

يَحْيَا الرَّئِيسُ للأبَدْ !
يَحْيَا هُوَ الفَرْدُ الصَّمَدْ !
لَهُ صِفَاتُ رَبِّنَا ،
لَكِنَّهُ .. لَهُ وَلَدْ !!!

إن الشعب كله مأسور أما الحاكم فقد تحنط فوق كرسيه .. إنه يهتك كل شيء في شعبه وفي أمته ابتداء بالإيمان والعقيدة وليس انتهاء بالشرف والعرض .

تبت يدا هذا الحاكم الطاغوت أيا كان وأينما كان .. تبت يداه، يقول الشاعر في قصيدة "تَبَّتْ يَدَا:"

يَضُرُّ بُنَا عَلَى القَفَا...
وإنْ أتَى عَدُوٌّ أرْضنا اخْتَفى ...
وبالعَمِيل في قُصُوره احْتَفَى...

●●●

يقول الشاعر تحت عنوان غير موفق هو "الهاتك بأمر الله" .. قلت لنفسي أن الهتك يتم بأمر الشيطان لا بأمر الله سبحانه و تعالى علوا كبيرا، وقلت لنفسي أنه كان على الشاعر أن ينزه لفظ الجلالة عن الاقتران بمثل هذا، لكنني سرعان ما عدت ملتمسا للشاعر سبعين عذرا فقلت لنفسي : اعذريه وليكن في فضاء الإبداع متسع. يقول الشاعر:

يَا مَنْ لعِرْضِي هَتَكْ
فَقَدْتَ شَرْعَيِّتَكْ!!
مِنْ رُبْعِ قَرْنٍ كَئِيبٍ
لَعَنْتُهَا طَلْعَتَكْ(...)
مَعَ العدُوِّ كَلِيلٌ
لَكِنْ بِشَعْبِي فَتَكْ !!!
سَوَادُ قَلْبكَ بَادٍ
فَاصْبُغْ بِه شَيْبَتَكْ(...)
سَجَدْتَ لِلغَرْبِ دَوْمًا
مُسْتَبْدلاً قِبْلَتَكْ (...)
يَوْمُ الحِسَابِ قَرِيبٌ

تَــــرَى بِــــه خَيْبَتَـــكْ
يَـــومُ المَنَصَّةِ حَـقّ
فَخُــذْ بِــه عِبْرَتَــكْ
هَــذِى الجُمُوعُ يَقِينـاً
مَـا جَدَّدَتْ بَيْعَتَــك !!!

●●●

فى تعبير جميل يتحدث الشاعر عن شعره فى ديوانه الرابع : "لاشىء عندى أخسره - بدون ناشر:ولهذا مغزاه ومعناه" فيقول : "حاولت تحرير شعرى من كل أغراض الناس وشهواتهم وجاهدت ما استطعت أن يعبر عما فى نفسى وقلبى وعن الناس دون أى كذب أو تجميل أو نفاق، ومهما كانت العواقب.. ثم يستطرد":لقد حولت حياتى كلها إلى حالة شعرية"

هزت هذه الكلمات أوتار قلبى، أسلمتنى إلى شجن جميل، هل يستطيع الشاعر أن يذوب فى المعنى، أن تتلاشى ذاته أو تكاد، أن تكون الحالة الشعرية شيئا أشبه بالروح الطاهرة الخالدة بعد أن تطهرت من أدران المادة والجسد، وهل يستطيع أن يمحو الفاصل والتناقض بين اللفظ والمعنى بحيث يجد المتلقى أن أى لفظ لم يكن يمكن استبداله بسواه، وأن أى تقديم أو تأخير إنما هو الأصل. كنت أغار على الشاعر، فما إن ألمح بقلبى جملة ركيكة إلا وحاولت القفز عليها، وما إن أتعثر فى معنى متهافت حتى أكاد أتعامى عنه، وكنت أقرع نفسى كل حين وآخر :

- ماذا تريد من الشاعر فى دواوينه الأولى؟ هل تريد أن تقارنه بفطاحل الشعراء بعد أن اكتملت تجربتهم ونضجت شاعريتهم، هل تريد منه أن يكون كشوقى وحافظ والبارودى والمتنبى؟ هل تريده كجرير والفرزدق والحطيئة والخيام ومحمود حسن إسماعيل؟ هل تريده كالعلامة محمود شاكر فى القوس العذراء؟ هل تريده كأمل دنقل وصلاح عبد الصبور والسياب والبياتى (فى الشاعرية لا فى العقيدة) ؟ هل تريده منافسا لأحمد مطر ومظفر النواب، هل تريده كمحمود درويش وسميح القاسم (حاشا لله بعد مواقفهم الأخيرة) .

كنت أتساءل هذه التساؤلات مستنكرا رغبتى فى أن أحمل الشاعر ما لا يطيق، ربما بعد عشرين عاما أو ثلاثين من صقل تجربته يكون مثلهم أو حتى يتفوق عليهم. إن الشاعر لم يصل إلى عامه الأربعين بعد، فهو من مواليد ١٨ سبتمبر ١٩٧٠، وقد يكون هذا العمر فى الزمن الغنى القديم عمر نضج واكتمال، لكنه فى ظل الضحالة الثقافية السائدة يكون عمر أطفال لم يزالوا.

فليكف قلبك إذن عن الخفقان خوفا كلما صادفك فى الشاعر ضعف أو نبوّ، أو كلما اعترضك عوار فى لفظ أو هبوط فى معنى أو خلل فى الوزن والموسيقى، كف عن هذا الشعور ولتقرأ قراءة محايدة أو حتى مُحبـّة، ولكن لا تعتبر كل نقطة ضعف هى ضعفك أنت وكل سوأة هى سوأتك أنت، فتسارع بتغطيتها بدلا من كشفها، كُف عن ذلك واقرأ قول الشاعر فى قصيدة "ارْحَلْ": "

الشَّعْبُ يُحْصى في السِّجُون خَسَائراً
وبَنُوكَ تُحْصى المَالَ و الأرْبَاحَا !!!
صِنْفَان صارَ النَّاسُ، إمَّا مُنْهَكاً
أوْ سَيِّداً في قَصْرِه مُرْتَاحَا !
وأنَا بِسِجْني لَمْ أزَلْ مُتَقَوْقِعاً
لأُصَارعَ الأَجْنادَ والأشْبَاحَا (...)
خَرَسٌ أصابَ بَلابِلاً في أرْضِنَا
والكلبُ قَدْ مَلأ الحَياةَ نُبَاحَا (..)!
فارْحَلْ.. فَإنَّ الأرْضَ تَقْطَعُ لَيْلَهَا
دَمْعاً تُشربَ بالبُكاء نُوَاحَا (...)
ما أنجَبتْ سَنَوَاتُ حُكْمِكَ فَارساً
بَلْ كَانَ حَمْلُ الأرْضِ مِنْكَ سِفَاحَا !!

●●●

سوف ينفذ الشاعر عبد الرحمن يوسف من بعض الحصار المضروب حوله، وهو حصار مفروض رغم أنه يقاوم بالكلمة لا بالقنبلة.. بالحرف لا بالسيف.. بالنغم لا باللغم .. بالعزيمة والإخلاص لا بالقنابل والرصاص .. سوف يفلت من حصار المنابر الرسمية التى حولها الأوغاد إلى مغارات لصوص .. لكن الطاغوت القاهر سوف يسلب حياتها دفئها حتى يجمده الصقيع :

يَنْتَابُنى الصَّقيعْ...
فى وطَنى المَحْكُوم
بالكُرْبَاج و المُذيعْ...
فى دَوْلَة شُيُوخُهَا تحَكَّمتْ
لرُبع قَرْن فى النُّفُوس
حَرَكَتْ شُعُوبَنَا كَمَا القَطِيعْ.
فى دَوْلَة زَعِيمُهَا تَجَدَّدَتْ
بَيْعَتُهُ ..
ولَمْ يَزَلْ لأرْضِنَا وعرْضِنَا يَبِيعْ
يبْدُو لنا مُكَشِّراً عَنْ نَابِه
لكِنَّهُ مَعَ العَدُوِّ دَائماً
كالخَادِمِ المُطِيعْ!!!...

●●●

يتراوح مستوى الشاعر فى قصائده من قصائد متواضعة المستوى إلى أخرى ينافس فيها مفارقات أحمد مطر اللاذعة أحيانا، والتى تحرق القلب أحيانا أخرى، كما تنافس بعضها الآخر شاعرية نزار قبانى. ويمتلك الشاعر فضيلة التواضع وأنه ليس متيما بنفسه، بل إنه يعترف بنفسه بتباين مستوى قصائده فيقول فى مقدمة ديوانه الأول :

"فبعض القصائد واضح فيها ضعف التمرس فى صنعة الشعر . ورغم ذلك وضعتها فى هذا الديوان لارتباطها بحدث حزين أو سعيد ، أو لأنها تعبر عن مرحلة من مراحلى العمرية والشعرية ، أو لحاجة فى نفسى قد لا أحب أن أفصح عنها" !!..

من نماذج الشعر المتواضع هذه القصيدة الغزلية (نعم.. فالشاعر يكتب في الغزل أيضا) فيكتب فى قصيدة حُبٌ فَوْقَ العَادَة :

أحَاولُ شَرْحَ مُشْكلتى بمَوْهبَتى البَلاغة
بأنى لمْ أزَلْ أهْوَاك مُعْجِزَةً جَمَاليَّة
مُحَاولَتى لنَيْل رضَاك بالشِّعر انْتحَارية
وكيفَ يَطُولُ شعرُ الأرْض مشكَاة سَمَاوية
إذا فكرْتُ فى عَيْنَيْك تَسْكُنني الشفَافية
وإنْ فكرْتُ في شَفتَيك تُشعلُنى انحلالية
ولَمْسَة كَفِّك المُلسَاء غابَاتٌ مَدَاريَّة
تُعيدُ جَميعَ أخْلاقى لسَيرتهَا البُدَائية
كَأنِّى لَمْ أعِشْ يَوْماً بدَائرَة حَضَاريَّة

وكانت هذه القصيدة من نوع القصائد التى أقول لنفسى بعد قراءتها : لكن الشعر انفجار وجدان وليس معادلة رياضية، ولا فسيفساء لفظية ولا منظومة سجعية.

ولكن فى نفس الوقت توجد قصائد أخرى يصل فيها الشاعر إلى ذروة عالية من تضافر اللفظ والمعنى والموسيقى فى كيان عضوى يشبه الكائن الحى الذى ينبض ويتنفس وينمو ويتألم ويسخر كما تسخر تلك القصيدة الحية: قصيدة مسبَحَةُ الرَّئيسْ ! :

فـى لَيْلَـةٍ مِـنْ حَالِـكِ الليْـلاتِ . .
صَلَّيْتُ ثُـمَّ نمـْتُ فـى سُبَات ...
وَجَـدْتُ سبْحَـةَ الرئـيس فـى يَدَى .
قَـرَّرْتُ ذِكْـرَ الله ...
أمْسَكْـتُ بالحَبَّـات ...
وَجَدْتُنـى أقُـولُ : "ذَاتـى
ثُـمَّ ذَاتـى ثُـمَّ ذاتـى !!!..
وبَعْدَهَـا كَسـرْتُ وِرْدَاً آخَـراً ..
فَقُلْتُهَـا : " لَذَ أتـى"...
كَرَّرْتُهَـا ألْفَـاً مِـنَ المَـرَّات ...
ثُـمَّ انْتَبَهْـتُ فَجْـأة ...
و قُلْـتُ ": ذَاكَ حُلْـمُ لَيْـلٍ
سَـيٍّ مَـا أقْبَحَـهْ !!
هلْ يَمْلكُ الرَّئيسُ أصْلاً مِسْبَحهْ ؟؟

●●●

ربما أجاب الشاعر على نفسه بعد هذه القصيدة، وفى نفس الوقت الذى أدرك فيه أن ذلك الرئيس لا يملك مسبحة اكتشف أن عنده مذبحة لكل من يحاول تطبيق شرع الله فى أرضه.

●●●

وأيضا قصيدة (اعتذر عما فعلت) من أبدع وأعذب ما كتب الشاعر وهى غير منشورة فى ديوان بعد، وقد كتبها ردا على الشاعر الفلسطينى العلمانى محمود درويش الذى كان كما وصفه بحق بعض الفلسطينيين : كان مناضلا ولم يعد كذلك.

هذه القصيدة كتبت ردا على ما قاله الشاعر الفلسطينى الكبير "محمود درويش" فى أمسيته الشعرية الأخيرة بحيفا فى١٥ يوليو ٢٠٠٧ تحت عنوان "أنت من الآن غيرك" منتقدا حركة حماس بعد ما سمى باستيلاء حماس على غزة. يقول الشاعر ردا على محمود درويش :

اعتـذِرْ عَمَّـا فَعَلْـتَ !
أُريدُ ادِّخَارَ قليلٍ مِنَ الجُهدِ كىْ أسْتطيعَ عُبورَ الطريقْ...
أُريدُ اقتطاعَ مَسَاحَةَ قلب
تمكننى بثَّ بعضِ المودَّةِ نحوَ صَديقْ...
أُريدُ الحفاظَ عَلى قطعَةٍ مِنْ مَرَايا الفؤادِ
لتعْكسَ بعضَ البريقْ...
أُريدُ الدِّفاعَ بسَطرٍ مِنَ الشعرِ حرٍ
لأقهرَ عصْرَ الرَّقيقْ!...

●●●

"أنا الآنَ أصْبحتُ غيرى" تقولُ...
تجَملُ نثركْ...
و إنكَ منذُ عُقودٍ تحَوَّلتَ غيركْ !!!
فخذْ مِنْ قصيدكَ حذركْ...
لأنكَ عبرَ السِّنينَ كتبتَ منَ الشعرِ
ما سوفَ يسْقطُ عُذرَكْ (...)!!!

●●●

القصيدة بالغة القوة معنى ومبنى وقد تخلصت من كل عيوب القصائد السابقة، ولقد عانيت عناء شديدا فى الاستشهاد ببعضها،

وكنت أتمنى أن تتسع المساحة لنشرها كاملة لكننى أكتفى بنشر أولها و آخرها حيث يقول الشاعر :

أُريدُ دُموعاً منَ القار أبكى بها فى ليَالى الظلامْ ...

أُريدُ رداءً منَ الصَّمت يسْتُرُ عرْىَ الكلامْ.

أُريدُ دَوَاءً لتشفى القَصيدَةُ حينَ تصابُ بداء الجذَامْ...

أُريدُ أرَاكَ وأنتَ الكبيرُ تبادلُ تلكَ الجَمَاهيرَ

بعضَ احترامْ...

أُريدُ أرَاكَ بمَقهى صَغير بيوْم لكىْ أتجاهلَ أنكَ فيه...

لأنَّ عقابكَ عندىَ...

ترك السلام..

●●●

بدأت شهرة الشاعر منذ أعوام قليلة ثم تألق بعد أن أصبح الشاعر الرئيسى لحركة كفاية.

ولقد شعرت بكثير من نبوّ الراحة بسبب ارتباط الشاعر بحركة كفاية، وصحيح أن هذه الحركة بقيادة الدكتور عبد الوهاب المسيرى هى حركة أخرى لا تشبه ما سبق ولا ما سيلحق. فالدكتور المسيرى يمنحها الآن قيمة لن تتكرر، ووجها إسلاميا لن يبقى بعده، إنها كانت قبل الدكتور المسيرى، وستكون بعده مسجداً ضراراً تمنيت لو أن الشاعر نأى بنفسه عنه.

قلت لنفسى : لعل علاقته بالعلمانيين فى كفاية هى التى جعلت الحصار حوله غير مكتمل.

وباتت فى حلقى غصة.. ونهش القلق قلبى.

فى البدايات الأولى كنت شديد الاحتفاء بالشاعر، كان ما وقعت عينى عليه هو القصائد السياسية.. وكنت حريصا على الكتابة عنه لأسباب عديدة، ولم يؤجل رغبتى تلك إلا إحساسى بضرورة تواصل مقالاتى عن الإخوان دون قطع لتسلسلها. وفى أثناء ذلك كنت أكتفى بالقليل من هذا الشعر، خاصة أشعاره المسموعة بصوته العذب وطريقته المؤثرة فى الإلقاء.

أصابتنى غصة أخرى عندما علمت أن الشاعر يلحن ويغنى قصائده، الشاعر فى مخيلتى ووجدانى أكبر بكثير من أن يلحن ويغنى، وحتى لمن يرى فى اللحن رأيا آخر فإن فى آراء بقية الفقهاء - ومنهم الشيخ محمد الغزالى رضى الله عنه - تترك بابا يمكن التماس المعاذير فيه. ليس من حقى أن أفرض قناعاتى الشخصية على الشاعر. قمعت نفسى، فذلك شأنه. لكن قلبى كان ثقيلا.

●●●

انتابتنى غصة أخرى وأنا ألاحظ سيطرة بعض الرموز الصليبية والجاهلية على شعر الشاعر وعلى أخيلته ووجدانه. وتذكرت الحملة الهائلة التى شنها أستاذ الأساتذة وجهبذ العلماء الأستاذ محمود شاكر فى كتابه الهائل أباطيل وأسمار، حيث يقول فى بعضه :

(...) ولكن الشىء العجيب المحير، هو أن كثيرا من رواد الشعر الحديث فى السنوات الأخيرة، قد أوغلوا فى استخدام هذه الألفاظ الأربعة، وقليل من أشباهها، فى شعرهم، وهم جميعا مسلمون (...) !!

ولكن هذا الضرب من الشعر، قد تولى

منذ قديم بعض صبيان المبشرين الترويج له، والإكثار من التلويح بأنه الجديد الذى لا جديد غيره، وأكثروا فى ذلك الصخب واللجاجة فى الصحف والمجلات وقارن ذلك تفشى شعر "إليوت" ومذهبه فى تحديد الثقافة، فى جوهرها تجسيد الدين للشعب، وأن السير إلى الإيمان الدينى عن طريق الاجتذاب الثقافى ظاهرة طبيعية مقبولة، هكذا يرى "إليوت(...)."

فمن هنا بدأت هذه الألفاظ الأربعة تأخذ طريقها إلى ألسنة هذه الطائفة من الشعراء المحدثين، مقرونة بالحملة المبددة لموازين الشعر القديم، فكان المسلمون من هؤلاء الشعراء، إنما يستعملون هذه الألفاظ لظنهم أنها جزء منهم لجدة الشعر، والإحساس بواقع الحياة التى يعيشونها بما فيها من آلام الحيرة والضياع والاستبداد والمخاوف، فكان لهذه الألفاظ الجديدة سحر فى نفوسهم، فاتخذوا تقليداً بلا فهم لم تنطو عليه من الدلالات، وكلما نشأ ناشئ منهم، قام له من يبنى عليه ويمتدحه ويذيعه بشعره، حتى يجتذب إلى تقليده آخرين، وتفشت الكلمات وطال عليها بعض الأمد فلما جاء الاعتراض عليها، التمسوا تفسيرا لهذه الألفاظ المقلدة التى لا صدى لها فى نفوسهم فقالوا هى "رمز" فإذا سألتهم لماذا رمز ولم كانت هذه الأربعة دون غيرها هى الرموز لم يحاروا جوابا، إلا كالجواب الذى أسلفنا ذكره، بما فيه من المغالطة فالأمر كله مبنى على تقليد مجرد، لا قيمة له، فالمقلد لا يفلح أبداً، وإنما يفلح من جاءه الإحساس بالشيء من قرارة نفسه، وقليل ما هم فى كل من يتكلم .

●●●

يتناول الشهيد - إن شاء الله - سيد قطب الأمر نفسه فيقول :

إن الإسلام يتسامح فى أن يتلقى المسلم عن غير المسلم ، أو عن غير التقى من المسلمين ، فى علم الكيمياء البحتة ، أو الطبيعة ، أو الفلك ، أو الطب ، أو الصناعة ، أو الزراعة ، أو الأعمال الإدارية والكتابية .. وأمثالها .. وذلك فى الحالات التى لا يجد فيها مسلماً تقياً يأخذ عنه فى هذا كله ، كما هو واقع من يسمون أنفسهم المسلمين اليوم ، الناشئ من بُعْدهم عن دينهم ومنهجهم وعن التصور الإسلامى لمقتضيات الخلافة فى الأرض - بإذن الله - وما يلزم لهذه الخلافة من هذه العلوم والخبرات والمهارات المختلفة.. ولكنه لا يتسامح فى أن يتلقى أصول عقيدته ، ولا مقومات تصوره ، ولا تفسير قرآنه وحديثه وسيرة نبيه ، ولا منهج تاريخه وتفسير نشاطه ، ولا مذهب مجتمعه ، ولا نظام حكمه ، ولا منهج سياسته ، ولا موجبات فنه وأدبه وتعبيره - إلخ ، من مصادر غير إسلامية ، ولا أن يتلقى عن غير مسلم يثق فى دينه وتقواه فى شيء من هذا كله .

إن الذى يكتب هذا الكلام إنسان عاش يقرأ أربعين سنة كاملة . كان عمله الأول فيها هو القراءة والاطلاع فى معظم حقول المعرفة الإنسانية .. ما هو من تخصصه وما هو من هواياته .. ثم عاد إلى مصادر

عقيدته وتصوره . فإذا هو يجد كل ما قرأه ضئيلاً ضئيلاً إلى جانب ذلك الرصيد الضخم - وما كان يمكن أن يكون إلا كذلك - وما هو بنادم على ما قضى فيه أربعين سنة من عمره . فإنما عرف الجاهلية على حقيقتها ، وعلى انحرافها ، وعلى ضآلتها ، وعلى قزامتها - وعلى جعجعتها وانتفاشها ، وعلى غرورها وادعائها كذلك !!! وعلم علم اليقين أنه لا يمكن أن يجمع المسلم بين هذين المصدرين في التلقى !!!

●●●

هل تنبه الشاعر لذلك المنزلق؟ وهل استطاع أن يحمى نفسه أم انزلق ؟!

يجيبنا على السؤال شعره.

في قصيدة "الأُمَّةُ والدَّوْلَةُ" ينفجر ألم الشاعر وينفجر أيضا ألمنا معه.. وألمنا عليه:

لَيْلٌ يُقيمُ ... وأمَّةٌ مُسْتَعْبَدَهْ !
وحُكُومَةٌ .. أفكارُهَا مُسْتَوْرَدَهْ !
أُنْمُوذَجُ الحُكْمِ المُعَلْمَنِ "سَائِدٌ
والشَّعْبُ صَارَ كَفَأْرَةٍ في المَصْيَدَهْ !
هِيَ دَوْلَةٌ قُطْرِيَّةٌ ، قَوْمِيَّةٌ ،
مَجْهُولَةُ الأفْكَارِ غَيْرُ مُحَدَّدَهْ !
رَسَمَ العَدُوُّ حُدُودَهَا بِدَهَائِهِ
كَقَنَابِلٍ فَوقَ الطَّرِيقِ مُعَقَّدَهْ

نعم .. أمة مستعبدة وأفكار مستوردة وفأرة في مصيدة وأفكار غير محددة، من المؤكد إذن أن الشاعر الذى يدين هذا يؤمن بعكسه، لكننا سرعان ما نكتشف أن الداء أصعب والخطب أشمل والداء وبيل، إن المسئولية ليست مسئولية القيادة الخائنة فقط، بل مسئولية الشعب الفأر، ثم ما نلبث في قصيدة تالية في نفس الديوان أن نكتشف أن الداء قد تسلل حتى إلى الترياق، وأن مضاد الفيروس قد أصابه الفيروس.. إن الشاعر نفسه يحمل في بعض قصائده نفس الداء الذى تحمله السلطة. الأفكار العلمانية المستوردة .

●●●

في الديوان الثالث للشاعر (في صحة الوطن - دار التوفيق) يكتب الشاعر قصيدة طويلة بعنوان (في صحة الوطن) لكنه يؤكد في حاشية في أولها أن"هذه القصيدة ليست مذهبي أو وجهة نظرى في المهازل التي تحدث في أوطاننا ، وأغلب ما فيها مجرد رصد لما حدث وانعكاساته على الإنسان البسيط، لذلك لا مجال لاتهامى بالعمالة للأجنبى أو الفسق فضلا عن الإلحاد، وكل ما في هذه القصيدة مقصود متعمد، حتى الأخطاء اللغوية، التي هي نتيجة لتأثير الخمر على الشارب المسكين".

ونحن نسلم للشاعر بهذا كله، ولسنا على درجة من السذاجة أو الجهل تدفعنا للخلط بين الشاعر والسارد ، لكننا في الوقت نفسه لسنا مغفلين وجهلة كي نهمل إيحاءات الرموز التي حذر منها العلامة محمود شاكر. تلك الرموز التي تجعل الوضوء منتقضا بالنجاسة والإيمان ملتبسا بالكفر أما الرجس فهو مكنون في النفس الممزقة بين الروح والحس.

في الصلاة الرابعة لقصيدة صلوات ملحد يقول الشاعر:

هَرَبْتُ مِنْ مَسْجِدى خَوْفَاً من الحَبس
والكُفْرُ يَمْزِجُ مَاضِيهِ عَلَى أمْسى
أعْدُو .. ويَدْفَعنى الإِيمَانُ مُنْطَلِقَاً
كَىْ أسْتَقِرَّ بأرْضِ الكُفْرِ والرِّجْسِ

نحو وعى سياسى

هَذا الوُضوءُ عَلى الأطراف مُنْتَقضٌ
جِسْمى طهورٌ، وذاكَ الرِّجْسُ في نَفْسى
أغْلَقْتُ مِنْ سَطْوَةِ السُلْطَان صَوْمَعَتى
أنَا المُشَرَّدُ بَيْنَ الرُوح والحِسِّ !

وهنا لا بد أن نقول بأسى أن كاتبَ الشعر عن تلك الروح المشردة بين الروح والحس قد كتبت فى الغزل بطريقة فجة والمذهل فيها أن أشعاره الغزلية أكثر حسية - وربما وقاحة - من أشعار نزار قبانى و إن فاقتها الأخيرة فى الشاعرية.

انظر مثلا إلى قوله:

أدمنت شفاهك دانية.. أمست لى كالكرم المقطوف..
أدمنت شفاهك أمنية .. تقبيلا أو نطقا لحروف..

وانظر أيضا قوله :

فَاجَأتْنى فى لَيْلَةٍ بِزيَارَةْ
مِثْلَ حَقْلٍ بُور حَبَانى ثِمَارَهْ
قُلْتُ : "أهْلاً". فَأقْبَلَتْ .. وتَثَنَّتْ
و اسْتَقَرَّتْ عَلى السَّرِير إِثَارَةْ !
وَدَعَتْنى كَأنَّنى فى فِرَاشى
طِفْلُهَا أعْطَاهَا سَعِيداً قَرَارَهْ !
ثُمَّ ألْقَتْ حذَاءَهَا ! وحُلِيًّا !!
و رَمَتْنى بِنَظْرَة مَكَّارَةْ !!!
فَتَقَدَّ مْتُ وَانْتَصَبْتُ وُقُوفاً
مِثْلُ جَيْش يَكَادُ يَبْدأُ غَارَةْ !..
وَتَحَسَّسْتُ فى الظَّلام طَرِيقى
ثُمَّ أدْرَكْتُ غَايَتى بِجَدَارَةْ..
قد أردنا لقاءنا هَمَجياً..
فأعدنا تعريف معنى الحضارة..
فامتزجنا وغمدها ضم سيفى..
وتحاورنا .. خسيرة .. وبكارة..

●●●

أظن أن الأوفق ألا أكمل القصيدة، لأنها وصف لفظى بشع لفعل كامل بكل تفاصيله فكأن القصيدة فيلم من أفلام العرى لا يشذبها - حتى لذر الرماد - قيمة معنوية.. أتوقف عن الإكمال حياء.. واشمئزازا.. لكننى أنبه القراء أن هذه القصيدة ليست الأكثر بذاءة.

هل يجمع الشاعر قلبين فى جوفه..
قلب صنديد وقلب عربيد ؟
قلب مجاهد وقلب صائد ؟!
فكيف كيف كيف كيف ؟!

المحزن أن هذه القصيدة لم تأت فى بواكير عنفوان الشباب والطيش والنزق، بل هى فى الديوان الخامس" :على المكشوف الصادر عام ٢٠٠٦ عن دار الشاهر للنشر والتوزيع .

لشد ما أنا حزين.. ولشد ما انطفأت حماستى للشاعر..

أمن أجل هذا يرحبون به.

●●●

فى (الصَّلاةُ الخَامسَة) من صلوات الملحد يقول الشاعر معانى بالغة الخطر:

تُريدُ فَهْمَ كَلام الحَق يَا وَلَدُ ؟
تَفْسِيرُ جَدِّكَ؟ أمْ تَفْسِيرُ مَنْ وَفَدُوا ؟
لَوْ أنَّ رُوحَكَ للأجْدادِ مَا خَضَعَتْ
لَمَا وَجَدْتَ كلابَ الأرْضِ قَدْ عَبدَوا
هَذى التَفاسِيرُ - لَوْ دققْتَ - بَاطِلَةٌ
وجَذْوَةُ الشكِ فى جَنْبَيكَ تَتَقِدُ !

●●●

يا رب.. لا تجعل دوري معه كدور الشهيد سيد قطب مع عبد الله القصيمي.

عندما قررت أن أكتب عن الشاعر عبد الرحمن يوسف كان دافعي إلى ذلك أمور كثيرة .. أولها أنه تشريف لأي كاتب أن يقدم شاعرا ويعرض بعض عمله، وثانيها أن واجب الكتاب الذي تخلوا عنه عندما تحولوا إلى كتبة هو أن ينقلوا الثقافة للناس فيعرضون ما يعرضون، ويفسرون الصعب ويسهلون الممتنع، وبهذه الطريقة يتثقف الناس ويعلو مستواهم الإدراكي، ولقد كنت حريصا على ذلك في كتاباتي السابقة في صحيفة الشعب حيث قدمت كثيرا من الشعراء والكتاب العرب والأجانب في عروض مسهبة، الكتابة عن الشاعر عبد الرحمن يوسف إذن واجب عليّ أداؤه وأكون آثما إذا نكصت عنه .

السبب الثالث جاء عرضا، ولم يكن مقصودا.

وهنا عليّ أن أكشف للقارئ أمرا أخفيته عنه منذ بداية المقال ..

لقد تكلمت عن الشاعر عبد الرحمن يوسف ولم أذكر بقية اسمه، فمن المعروف أنه لا يحب أبدا ذكر اسمه بالكامل، لكن الأمر أصبح مشاعا الآن بحيث لم يعد الإخفاء يجدي ولم يعد من الممكن أن يستمر.

أما اسم الشاعر بالكامل فهو :

عبد الرحمن يوسف القرضاوي .

نعم.. وليس تشابه أسماء.. فالشاعر نجل أستاذ العلماء وعالم الأساتذة الدكتور يوسف القرضاوي .

وكان هذا النسب يزيدني كما يزيد الشاعر تشريفا على تشريف .

قيل لي أن الشاعر لا يريد لاسم أبيه الضخم أن يكون واسطة بينه وبين الناس.. وأنه يريد من القراء أن يقيموه لشخصه لا لنسبه.

كان يمكن لهذا الأمر أن يستقيم مع أي أب آخر غير الدكتور يوسف، فكلنا يفخر بتأثيره علينا ، بل والعكس صحيح، فإنه يشيننا ألا نكون قد تأثرنا به.

يوسف القرضاوي ليس شخصا ولا هو مجرد أب.. إنه جامعة عملاقة ومؤسسة هائلة تزيد من ينتمي إليها ولا تُنْقِصُهُ، بل ويفخر الناس بتأثيرها عليهم ولاَ يهربون منها .

كانت بنوة الشاعر لشيخنا العلامة تمنحني مزيدا من السعادة والشرف ، لكنها لم تكن بأية حال دافعا .

لكن هناك أمرا آخر له صفة الخصوصية كان يدفعني إلى التعجيل بالكتابة التي لم يؤجلها سوى المقالات الأخيرة في سلسلة كتاباتي عن الإخوان المسلمين، والتي حوت فصولها الأخيرة انتقادا شديدا للشيخ القرضاوي بسبب هجومه على الشهيد سيد قطب، ولم يدرك كثير من العلمانيين وقليل من السلفيين كم أحب الرجلين كليهما ، وأن انتقادي للشيخ كان دافعه أنه لا يليق بي في كتاب عن الإخوان تتجاوز صفحاته الألفين أن أصمت عن انتقادات الدكتور القرضاوي العنيفة للشهيد ، كان صمتي سيعني إقرارا بالموافقة أو على الأقل عجزي عن المواجهة، وعن ضعف دفاعاتي عن الشهيد. رددت على شيخنا ، الذي أتعلم منه و أعارضه، و أحبه الحب كله ثم أقسو عليه في المواجهة عندما أختلف معه، وفي المقالات الأخيرة، حدث فور

نشرها أن أصيب بوعكة فى الجزائر، واعتصر الألم قلبى، حتى لقد كبحت دموعى، وكتبت عن ذلك فى العدد السابق من المجلة. ورغم أننى لا أسحب كلمة واحدة مما كتبته فى الرد على شيخنا و أستاذنا وعالمنا لكننى كنت شديد الرعب من أن يحين أجله وهو غاضب منى أو ناقم علىّ، خشيت أن أكون قاب قوسين من الجنة فيدفعنى غضبه علىّ عنها، قلت لنفسى أن الأمر ليس أمر معادلات رياضية يكون الأمر فيها بالحساب الدقيق، وخشيت أن أكون قد أخذت ذنوبه و أخذ حسناتى. وكنت أريد فرصة أقول فيها للقراء كم أحب هذا الرجل وأحترمه وأثق فيه، وقلت لنفسى أن هذه الفرصة المتاحة للكتابة عن الشاعر عبد الرحمن يوسف قد تكون تحية غير مباشرة.

أريد أن أكون واضحا فى أمرين : إننى كنت سأكتب عن الشاعر سواء كان ابن الدكتور القرضاوى أم لم يكن، والأمر الثانى أن هذه الكتابة التى نويت منها أن تكون تحية للدكتور القرضاوى لم أقصد منها أن تكون اعتذارا بأى شكل من الأشكال.

أقول نويت أن يكون المقال تحية.. ولكن .. وتقدرون فتسخر الأقدار.. ذلك أن الأمر يوشك أن ينقلب إلى ضده، ويوشك الأمر أن يكون شكوى أقدمها ضد الشاعر إلى أبيه.

هل صحيح أن الشاعر يخشى أن يقدره الناس تبعا لأبيه أم أنه قدر أنه وإن كان ابن العلامة فإنه ليس من أهله .

●●●

كنت مندهشا ومنزعجا من علاقات الشاعر باليساريين ومن كثير من الألفاظ والمعانى التى يستعملها. فلنقرأ مثلا فى قصيدته "البَحْثُ عَن الذات :"

وأبْحَثُ طُولَ اللَّيْلِ عَنْ نُورِ مَشكاةٍ
يُنيرُ طَرِيقَ العَقْلِ فى البَحْثِ عَنْ ذاتى
كأُسْطُورَةٍ بَلْهَاءَ تَبْدُو خَوَاطرِى
وأبْدُو بأُفْقِ الحَقِّ .. نَجْمَ خُرَافَاتِ
أعيشُ عَلى مَاضٍ مِنَ الحُزْنِ هَدَّنى
وأسْوَأُ مِنْ مَاضىَّ .. خَوْفى مِنَ الآتى !

ثم واصل القراءة فى ذات القصيدة :

بدَايَاتُ هَذا الكَوْن أجْهَلُ شَكْلَهَا
وَهَيْهَاتَ أنْ أحْظَى بشكل النِّهَايَات
فكَيْفَ وجَهْلى بالحَقيقة مُطْبِقٌ
أُعَانِقُ فى الإظْلام بَعْضَ إضَاءَات ؟

ولنلاحظ هنا ضياع اليقين فى أتون فلسفة الشك التى انتشرت فأوروبا منذ القرن السابع عشر كجزء شيطانى يهودى ماسونى من مخطط القضاء على منظومة الدين، ويتبناها العلمانيون حتى الآن .

وقبل أن يجابهنى العلمانيون بأننى أخرج عن أصول النقد وأن النقد يجب أن يكون من داخل العمل لا من خارجه أرد عليهم أننى لا أخرج عن أصول مدارسهم النقدية فقط، بل ألفظها وأسحقها سحقا. ذلك أن هذه المقاييس هى مقاييس الحداثة التى تنفى الدين فى النهاية نفيا شاملا .. لقد جعلوا من نصوصهم وأصول نقدهم العلمانية الحداثية قرآنا لا يجوز الخروج عليه أو نقده كما لا يجوز لغيرهم تفسيره، فعلوا ذلك - قاتلهم الله - فى الوقت الذى جعلوا فيه القرآن كتاب الله هدفا

لطعنهم. وبمنتهى الصلافة والشر والوقاحة وضعوا شروطا لكى يعترفوا بنا كمسلمين، وكان فحوى هذه الشروط أن نقر بالكفر قبل أن يعترفوا بحقنا فى أن نكون مسلمين .. إن بعضهم وهو كافر بما أنزل الله يريد أن يحدد لنا شروط إيماننا، بل إن موقفهم قاتلهم الله ولعنهم هو نفس الموقف الصليبى المتعصب الذى صدر من بابا الفاتيكان وعصبته، من أن الإسلام دين إرهاب، ومن أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم ينشر سوى الإرهاب والجهل والخرافة والقسوة، وقد نشرها بالسيف، وأن الحد الفاصل الفارق الذى يفرق الإرهابى عن غير الإرهابى هو الإيمان بالقرآن، وتفصيل ذلك أن جميع من يصرون على أن القرآن كلام الله حرفيا هم الإرهابيون، وأن غير الإرهابيين هم الذين يقرون بعكس ذلك، الذين يقولون أن القرآن منتج ثقافى بشرى يجوز تعديله، بل يجب تعديله وتغييره .. هذا ما يهمسون به أحيانا

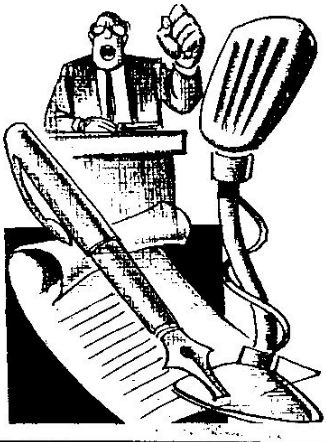

ويصرحون به أحيانا أخرى، حيث تقوم طلائعهم مثل نصر حامد أبو زيد والقمنى وخليل عبد الكريم بترويجه والدفاع عنه.. وتقوم الجوقة العفنة بالترويج لهم .

قد أحترم العلمانيين فى الغرب ؛ لأنهم أبناء شرعيون لثقافاتهم وتواريخهم، أما العلمانيون فى بلادنا فليسوا أبناء شرعيين لحضارتنا ، ما مخضتهم بطون نسائنا ولا آباء لهم عندنا، وهم نبت مستورد والفرق بين العلمانى الغربى والعلمانى المحلى كالفارق بين الحبيبة والعاهرة، الأولى تريد وتحب، أما الثانية فتبيع وتكذب .

أكرر القول أن إقرارنا بالكفر شرط لاعتراف النخبة العلمانية الدنسة بحقنا فى الإسلام.. على المستويات كافة .. فى السياسة والثقافة.. فى الحرب والسلم.. وفى كل تفاصيل الحياة .. ولتلاحظ أن هذا الموقف، الموقف البابوى، هو نفس موقف الغرب منا، وأن الشروط هى ذات الشروط، وأن النخبة الحاكمة الخائنة، ونخبة المثقفين اليساريين العفنة، وهى ليست إلا الطابور الخامس، تؤيد ذلك وتشجع عليه، بل وتفعل ما هو أكثر، لقد نصّب الصليبى واليهودى والمشرك طواغيتنا حكاما علينا، ونصَب هؤلاء الطواغيت نخبة المثقفين حرسا علينا وأعطوهم مفاتيح المدينة ، ولأن يلج كاتب ميادين الشهرة والنشر والاحتفاء دون معونتهم وإذنهم أصعب من أن يلج الجمل فى سم الخياط. إنهم بالطبع لا يفعلون ذلك مباشرة، ولكنهم عن طريق وسائل النشر والنقد والإعلام والشهرة، لا يقرظون عملا إلا إذا احتوى على اجتراء على الثوابت وامتهان لألفاظ الذات الإلهية وسب للرسول صلى الله

عليه وسلم وإنكار للمعلوم من الدين بالضرورة، وترك الإجماع للخروج بمفهوم جديد للدين، يمحو رسمه ويبقى اسمه.

لقد بلغ انزعاجي مبلغا عظيما عندما قرأت قولا للشاعر فى أحد لقاءاته : "أنا لا أعتقد أن فهمنا - نحن المسلمين - للإسلام يعتبر فهما صحيحا !!! لقد تراكمت المفاهيم الخاطئة ... واستمرأ الناس الخلل فى الأولويات الدينية بحيث صار الدين مخدرا.. لا باعث نهضة .. ومحرك التحرر !!..

آآآآآآآآآآآآآآآآآه..

لا أخفى على القارئ أننى شديد الانزعاج من نماذج كجمال البنا وجهاد عودة وعبد الله القصيمى، وعشرات النماذج الأخرى التى أعرفها، لكن لا يليق التصريح بها ما لم تجاهر.. تتقدم الأجهزة المختلفة ومنها أجهزة الأمن لتلقى شباكها حول واحد من المنتمين لشخصية إسلامية كبرى، ويوضع أمامه مجموعة من العراقيل والجوائز كى تحدد مساره.. تماما كما كان بافلوف يعمل بحيواناته.. فلكأن هذه الأجهزة وهؤلاء العلمانيين الأشرار يفعلون ما كان يفعله الشيطان أو الساحر العجوز عندما يشرعون فى تعليم السحر لأحد من يتوقون إلى تعلمه، تقول الأسطورة أن الشرط الذى كان الساحر العجوز يضعه أن يذهب من يريد تعلم السحر فيتوضأ باللبن ويدنس المصحف ويكفر بالله فتلك هى القاعدة الأساسية لتعلم السحر.

شياطين الثقافة فى بلادنا يفعلون نفس الشىء.. اذهب واخرج عن الإسلام أو على الأقل تجرأ عليه وسوف نمنحك صك الاعتراف والمال والشهرة والمجد وفرص النشر الواسعة والاحتفاءات الهائلة فى الاحتفالات التى لا تنقطع .

صرخت : اللهم احم عبد الرحمن يوسف القرضاوى منهم.

●●●

فى قصيدة "خَلْفَ القُضْبَان" يقول الشاعر:

كُلَّمَا أدنُو مِنَ الحَقِّ ابْتَعَدْ
وانْجَلَى الليْلُ وعَقْلِي مَا رَقَدْ

وفي قصيدة "أمَامَ المرآة " يقول :

وَحْدِي .. وأطيافُ أحْبَابِي عَلى الشرَف
والشَكُّ يَغزُو يَقينَ القَلْبِ في صَلَفِ

وفى قصيدة "البَحثُ عَنَ الذَّات" يقول :

بدايَاتُ هَذا الكَوْن أجْهَلُ شَكْلَهَا
وَهَيْهَاتَ أنْ أحْظَى بشَكْلِ النِّهَايَات
فَكَيْفَ وجَهْلى بالحَقِيقَة مُطْبِقٌ
أُعَانِقُ فى الإظْلام بَعْضَ إضَاءَاتِ ؟

●●●

ربما أدرك أن الشاعر لا يعبر عن نفسه فى عمله الفنى الإبداعي، لكننى فى نفس الوقت أملك من الخبرة ما أميز به بين الظل والأصل .. كما أن ما يهمنى فى الشاعر هو المجاهد وليس الفن من أجل الفن، ما يهمنى فيه أنه كتيبة رماة، أو صواريخ تنطلق منها كلمات الحق عند سلطان جائر فيدخل الشاعر الجنة .

وليس الأمر أمر قناعات شخصية من حق كل واحد أن يختارها دون التفات لسواه، وإذا كان الشاعر يقول أنه منح نفسه كلها للشعر حتى أصبح حالة شعرية، أفلا نملك أن نقول أن علينا أن ننذر أنفسنا كلها لله كى نكون حالة إيمانية .

الأمر ليس اختلافات مشروعة فى الرؤى بل خللا لا يستقيم الأمر معه أبدا، فالإنسان لا يمكن أن يكون كاتبا مبدعا ولا حتى مثقفا دون أن تكون له وجهة نظر شاملة فى الحياة ينتظمها خط واحد متسق .. وأنى للإنسان الذى فقد بوصلة حياته أن يعرف الشرق من الغرب أو الشمال من الجنوب. وأنى لمن يجهل بدايات هذا الكون ونهاياته ومبرراته أن يعرف بداياته هو نفسه ونهاياته ومبررات تصرفاته فى حياته .

هل يمكن مثلا أن نتصور عمر الحمزاوى فى شحاذ نجيب محفوظ يقوم بعمل استشهادى، أو أن ميرسو، بطل رواية الغريب لألبير كامى يتزعم جمعية للدفاع عن حقوق الإنسان، وهل يمكن أن نتصور "ليبولد بلوم" بطل رواية عوليس للكاتب الأيرلندى الشهير جيمس جويس رئيسا لعصابة صهيونية إرهابية ؟ وهل يمكن أن نتصور كتّابا كصلاح عيسى أو جمال الغيطانى يضحيان بوظائفهما ووضعهما من أجل قضية عليا أو مبدأ أسمى؟. وهل يمكن أن نتصور واحدا كفؤاد علام يتوب ويئوب فيسارع بالاعتراف طالبا تطبيق القصاص عليه كى ينجو من عذاب الآخرة ؟!..

أريد أن أقول إن المثقف، والمبدع بصورة أولى، يملك تصورا شاملا للكون، ومن هذا التصور تتحدد مواقفه، و أن الشاعر، أو الإنسان الذى لا يعرف بداياته من نهاياته، والذى لا يعرف من أين جاء ولكنه أتى عندما وجد أمامه طريقا فمشى، لا يملك مقدرة اتخاذ موقف، وعليكم أن تخبِّرونى ماذا يرغم هذا الإنسان الضائع على القيام بعمل قد يفقد فيه حياته .

أريد أن أقول إن معرفة البدايات والنهايات، بل اليقين بها هو الذى يجعل لتصرفاتنا معنى وقيمة .

ولا معنى ولا قيمة لمن يفقد حياته وهو يواجه السلطان الجائر بكلمة حق بينما هو فى الأصل لا يؤمن بالله أو يشك فى وجوده، بل إن الفعل الاستشهادى يفقد منطقه وعقله ليصبح جنونا مطبقا، وإرهابا بلا مبرر، وتلك نظرة الصليبيين واليهود والمشركين وخدمهم من علمانيينا إلينا.

وبصورة أخرى أريد أن أقول إن الهجوم على الطاغوت واستنكار الظلم والقسوة والتعذيب والتزوير والخيانة لا يمكن أن يكون له معنى إلا إذا رجعنا إلى مرجعية مطلقة تجعل من الظلم والقسوة والتعذيب والتزوير والخيانة أمورا شائنة وكريهة .. ما الذى يجعل الصدق نبيلا والكذب وبيلا إلا أن الله أمرنا بالصدق وحرم علينا الكذب. هل يمكن للقيمة الإنسانية المجردة أن تصل إلى هذا، بالطبع وفى الواقع مستحيل، أعنى من هذا

كله، أن الضائع الذى لا يعرف البدايات ولا النهايات ليس له أى مبرر لأن يهجو السلطان أو أن ينتقد فعله ؛ لأنه لا مقياس لديه يمكن القياس عليه، وهذا المقياس ليس إلا اليقين بالله، ومنه، من الله تنبع كل قيمة نبيلة فى هذا الوجود، ومنه، من الله، نستمد المقياس، وبدونه لا معنى لشىء ولا مقياس لشىء، وبدونه كل شىء مباح .. وبدونه يصبح الطاغوت على حق ويصبح المجاهدون حمقى فقدوا حياتهم من أجل لا شىء، وبدونه يصبح بوش المجنون حكيما وعاقلا؛ لأنه دمر العالم كى يسيطر على البترول لبلاده .

نعم إذا فقدنا المقياس وغام أمام أعيننا اليقين فلا معنى لشىء ولا قيمة لشىء ولا مبرر لشىء.

●●●

لقد تحدثت كثيرا عن الحصار المفروض حول الشاعر، الآن أدرك أنه كان شبح حصار، بل إن بعض القنوات التلفازية الرسمية استضافته، كانت الغواية على أشدها، وكان قد حصل على تأشيرة مؤقتة للدخول بعد أن استعمل ألفاظا ما كان له أن يستعملها.

●●●

إننى أريد أن أؤكد أن فى الديوان ومضات إيمان مبهرة، وأننى لا أشكك ولا أشك فى إيمان الشاعر، ولكننى أرى حجم الغواية فأحذَر.

ربما يتساءل القارئ الآن عن النماذج التى جعلت من هذا المقال مقالا أرانى الله فيه عجائب قدرته، إذ بدأته أنتوى أمرا، وأقصد اتجاها ثم شاء الله أن أسير فى عكسه، ولقد نكصت عن معظم هذه النماذج، وتجاوزت عن هَنَاتٍ وكبائر، وأغمضت عينى عن غزل غير عفيف يتفجر بالرغبة المسعورة فى تحرير المرأة من أزرار ملابسها - على حد قول الشاعر -! وأغمضت عينى عن استعمال ألفاظ لا يستلزمها السياق كاتهام الحاكم الطاغوت أنه يطعم أهله ·لبراز، أو كاستعمال كلمة (عرص) وهى كلمة دارجة (والحق أننى لا أعلم معناها ولكنى أتصور أنها بذيئة) ، وكذلك المبالغة والتكرار الشديد فى تشبيه العلاقة بين الحاكم والطاغوت والشعب بعلاقة شذوذ، والأنكى تجسيد التشبيه بصورة تدعو للتقزز والخجل .

لن أحاسب الشاعر على أى من ذلك.. ولكن واقعة واحدة لا أستطيع تجاوزها أبدا..

ولا أستطيع أن أسامحه فيها أبدا.. رغم أنها تمثل الذروة الطبيعية لما قبلها.. والنهاية المنطقية لمقدمات سبقت واجتراءات اقترفت .. لكنها فى هذه المرة لا يمكن تجاوزها أو تبريرها بأى شكل من الأشكال.

ولكن هل يجوز أن يقول فى صفحة٦٨ من ديوانه الرابع لا شىء عندى أخسره :

هم أقنعوك بأن الأرض قد سجدت ..
من تحت إستك ..إست الواحد (الأ...)..

هل كان يليق فى هذا السياق أن يرتكب الشاعر إثما لا أعرف كيف يواجه به ضميره.. والناس وأباه..

وكيف يواجه الله به يوم القيامة ..؟

هل كان يليق أن يضيف كلمة (الأحد)

بعد كلمة (الواحد) فى بيت الشعر السابق.

يا إلهى..

الواحد الأحد..

وفى هذا السياق

هذه الجرأة فى اقتحام الألفاظ البذيئة مجاورة للفظ الجلالة..

أنا أعرف بالطبع أنه يقصد الطاغوت بكلام"الواحد الأحد".. وحتى فى إطار هذا القصد فإننى لا أستسيغ مهاجمة الطاغوت بهذه الطريقة ..

ولكن كيف يمكن استساغة هذه الجرأة الوقحة بترداد ذلك اللفظ فى حضرة لفظ من ألفاظ الجلالة.. وكيف يتأتى لقلب اقترف صاحبه هذه الخطيئة أن يخشع.. وكيف يتسنى لذلك الصاحب أن يركع .

●●●

عندما وصلت إلى هذا الجزء فى قراءتى غلب علىّ ألا أنشر هذا المقال فقد انهارت الكثير من ركائزه.. لكننى سرعان ما أدركت أن نشره الآن - للتحذير - أوجب.

ولقد كان جزءا مما أريد بعد تحية الشاعر أن أحيى أباه العظيم..

ولكن ها هو ذا كله يتلاشى فما الداعى لنشر المقال إذن .

وفجأة وجدتنى أصيح دونما صوت :

- والله إن كان يقصدها لأنكلن به كما نكلت بحيدر حيدر..فإن كان سيدى وحبيبى ومولاى سيقطع يد فاطمة لو سرقت فما أولى بى أن أقطع لسان من يجترئ على الذات الإلهية .

ولقد خشيت أن أنكص عن كلمة حق، حبا فى شيخنا الكبير وإكراما له ومراعاة لخاطره، لذلك عدلت عن النكوص وكان واجبا علىّ نشر المقال..

●●●

الأمر يتعدى حدود الواقعة كى يكون رسالة لكل مبدع ولكل مثقف ولكل مسلم.. يتعداها لكى يشمل نقطة جوهرية هامة لا يتسع هذا المقال لها، هذه النقطة هى مروق الأبناء من الإسلام مروق السهم من الرمية.. وخصوصا أبناء وأقارب كبار الإسلاميين.. ليس مجرد المروق، بل واتخاذهم قواعد لقصف الإسلام نفسه.

●●●

كنت فى المسجد الحرام.. ذهلت من الآية فكأنما لم أقرأها قبل ذلك فى حياتى أبدا، فرحت أتلوها وأكرر تلاوتها وأنا أبكى وأنتحب :

﴿وَالَّذِى قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِى أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾

.... (الأحقاف : ١٧) .

د. محمد عباس

على نويتو
يروى للمختار الإسلامى

ذكرياته مع دعوة الإخوان

(الحلقة الأولى)

أعدها للنشر : عبد الرحمن هاشم

الفصل الأول
أيام الصبا والشباب فى إمبابة

ولدت فى ٢٦ اكتوبر سنة ١٩٢٨م فى درب الحفارى بمنطقة إمبابة بالجيزة. وتقع إمبابة قريباً من القاهرة. فإذا عبرت كوبرى الزمالك أو كوبرى إمبابة تكن فى وسط أحداث القاهرة. وإذا ذهبت فى قراها من ناحية الشمال.. آخر قرى محافظة "البحيرة" .. وإذا عبرت الرياح المنوفى متجها إلى الشرق انتقلت إلى قرى محافظة المنوفية. وإذا اتجهت غربا تصل إلى الفيوم. ومنها إلى "مدق الأربعين" الذى يوصل إلى السودان عبر الواحات الخارجة .. وواحة "بيريز" (التى يسمونها خطأ باريس قبلى) وهى على بعد ٩٠كم من الواحات من جهة الجنوب إلى السودان .. حيث ترد الجمال ثم إلى سوق إمبابة إلى مصر كلها..

وإمبابة غريبة عجيبة فيها الطرق الصوفية .. وفيها كل الملل والنحل .. وتوجد قريتان عندنا فى إمبابة "صفط اللبن" و"زنين" وفيما مضى فى صفط اللبن كنت تتنسم عطر الإخوان المسلمين .. أما زنين فكان يزكم أنفك خبث الشيوعيين .. ولابد أن يمر الصفطيون على زنين فكانت تدور بينهم

أيام الصبا

كان جدى يخصنى بحبه الشديد وكانت عصاه بالنسبة لى "عصا موسى" أخرج بها وأمشى. وكان يخرج ورائى ويسأل عنى إلى أن يجدنى يوم كنت طفلاً صغيراً .. وذات مرة خرجت من منزلى واتجهت شمالا .. وكنت دائماً أخرج فأمشى يميناأو ومعنى شمال : أى البحر أن أتجه شمالاً ؛ لأننى أمضى نحو نهر النيل .. والبحر يطلق على المالح والعذب. خرجت ومعى عصا جدى "عصا موسى" مشيت ونزلت النهر إلى العمق ..

عمى حسين الصباغ من درب "الحافرى"

كان يصبغ الأثواب بالنيلة .. ووجد شيئاً أسود يغطس فجرى وأخرجنى وأنقذنى من الغرق .. وظل يذكرنى بهذه الواقعة حتى دخولى السجن سنة ١٩٥٤م .. ويقول : يا على كنت ستغرق وأنا أنقذتك.

والتحقت بعد ذلك بمدرسة خاصة ابتدائية بإمبابة. وكان الناظر اسمه "حسن الشجيع" كان رفيعاً وطويلاً. ويلبس بنطلون بدون حزام فيه وكل لحظة يرفعه. وكان عندنا مدرس تربية رياضية اسمه "رشاد مصطفى" .. وكنت ألعب "ملاكمة" وأنا صغير فى نادى الترسانة. وفى إحدى المباريات الهامة لعبت ضد نهاد مصطفى وضربته القاضية. والأستاذ رشاد لعب ضد روبير متانيا (ألمانى) وانهزم منه .. وأعطونى "اليويو" مكافأة لى وظهرت صورنا فى مجلة المصور .. أنا فائز بالضربة القاضية وأخذت اليويو .. ورشاد مصطفى مضروبا بالقاضية من روبير متاتيا وكان لى جد اسمه الشيخ "محمد نويتو" مقرئ الخاصة الملكية لرابطة القراء وصديق الشيخ "محمد رفعت" أول ما شاهد صورتى منشورة فى "المصور" أرسل لوالدى. وقال له "عبد الفتاح.. تانى مرة على ماتظهرش صوره فى الجرائد"؛ لأنه

كان يخاف عليه من الحسد .. وهو لايدرى أن صورة على ستصبح فى العالم كله !

وفى ذات مرة ونحن طلبة فى الابتدائية أخذونا إلى حديقة الحيوانات. وكان معنا "رشاد مصطفى" و"حسن الشجيع" وكلنا مطربشون إلا "رشاد مصطفى" مدرس التربية الرياضية.

وظللنا نتجول فى الحديقة إلى أن وصلنا إلى بيت "أمنا الغوريلا" محبوسة فى قفص بمفردها .. والآن موجود فى المتحف محنطة. وقفنا أمامها فوجدنا يديها تصل إلى الأرض .. وكل جسمها شعر أسود .. وقفنا نتفرج عليها فإذا برشاد مصطفى مدرس التربية الرياضية معه حبل فرماه للغوريلا وأمام قفصها جبلاية القرود جالى ملك القرود وحوله نساؤه وأولاده.

فرمى رشاد لها الحبل. وكل ماتريد أن تأخذه يقوم بشده وهكذا.. إلى أن تجننت واحمرت عيناها .. وظلت تقفز كثيرا إلى أن هدأت مرة واحدة. وأعطتنا قفاها ودخلت بيتها .. وأتت وأيديها خلفها .. وعلى أعلى طربوش "حسن الشجيع" أحكمت النشان. وكانت قد تغوطت فى أيديها. فضربت الطربوش بالغائط. فطار ونزل عند القرود. فأخذته لتلعب به .. وهى تقول: هى هى هى هى فرحانة بذلك أنها انتقمت لنفسها. هذه لقطة وأنا صغير فى الصف الثالث الابتدائى.

وأذكر أيضاً أننى اشتركت وأنا فى

الابتدائى فى حمام السباحة بجانب الشبان المسلمين الذى اغتيل عنده الإمام "البنا".. وأول مرة أذهب إلى الحمام وسنى صغير ومعى كارنية الحمام ومسورو به جداً.. دخلت فوجدت المنط والحوض وبه عمق يصل لـ ٥ متر. ووجدت الناس تطلع فوق وترمى نفسها من على المنط.. فطلعت أنا الآخر ورميت بنفسى. فوجدت نفسى نازلا إلى أن رأيت بلاط الحمام واصطدم وجهى به. وظللت أضرب بيدى ورجلى إلى آخر نفس إلى أن أمسكت يداى بماسورة الأمان.

النزعة الدينية

أ - مع الصوفية :

نشأت فى بيئة الصوفية. وأخص منها الطريقة الحامدية الشاذلية. التى كان والدى خليفة فيها. وشيخ الطريقة هو الشيخ سلامه حسين راضى. وكان أتباعه منتشرين فى قرى إمبابة. ويعاود زيارتنا فى البيت مع إخوانه. الذين كانوا يسمون بإخوان الشاذلية. وكان المستعمر يشجع الطرق الصوفية. ويحضر احتفالاتها فى المولد النبوى الشريف، والذى كان يعتبر بمثابة كرنفالاً " احتفالاً " كبيراً يتبارى فيه أصحاب الحرف المختلفة بتزيين عرباتهم " الكارو. وكان يحيط بهذا الموكب الحاشد كل ممثلى الطرق الصوفية بالشرف الأخضر. المكتوب عليه اسم الطريقة وزيها الخاص. من غطاء الرأس وحزام الوسط.. متماسكى الأيدى فى بعضها. وهم ينشدون الأناشيد. ويقرعون الطبول. ويعزفون أنواع الموسيقى المختلفة. ويذكرون فى الطريق. وبالطبع كانت الطريقة الرفاعية تقوم بتقديم أنواع مختلفة من ألعابهم بالنيران والسنج وغيرها..

وكان هذا الموكب الحاشد ينتهى إلى أرض الغفير بالعباسية حيث المندوب السامى البريطانى وزوجته الإنجليزية على المنصة. وطبعا كانت سافرة. وبجواره شيخ مشايخ الطرق الصوفية وزوجته الإنجليزية. وبين أيديهم ينتهى هذا الموكب بقولهم : ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين﴾ الفاتحة. وينصرف كل واحد إلى شأنه. والله أعلم بأحوالهم وبمن يؤدى الصلاة منهم ومن لا يركعها أصلاً ...

وكنت أحفظ القرآن على يد الشيخ قاسم فرحات النقشبندى شيخ الطريقة .. ويصغرنى بعامين ولكن الله تعالى زاده بسطة فى العلم والجسم. مع أنه لم يحصل إلا على الشهادة الإلزامية. وكان يعمل منجداً هو ووالده.. ويتصف بالأمانة هو ووالده. ولذلك كان محجوزاً لأيام فى قرى إمبابة؛ وذلك لأمانته وحسن أدائه للعمل.. وكانت الكنيسة الوحيدة فى إمبابة - آنذاك - مقابلة لمنزله. وبيته من طابقين ويأتى كل يوم بعد الغروب. وحجرته فى الدور الأرضى لها شباك مطل على الكنيسة. ولكن لا يراه فى الخارج. وحينما

يبدأ فى قراءته للقرآن بعد صلاة المغرب. وكان يقرأ قراءة متقنة. وكان يتحرى فيه قراءة الرسول - صلى الله عليه وسلم - حيث درس علوم القراءات وأتقن ألفية ابن مالك وحفظها عن ظهر قلب. وعندما يسمع القسيس قراءته يجلس تحت الشباك. ويظل يبكى حتى ينهى قراءته .. فلاحظه النصارى . وقالوا إنه تأسلم. ونقلوه من هذا المكان..

وكانت لنا معه جلسة أسبوعية بعد صلاة العشاء كل يوم خميس بمسجد الجمعية الشرعية بجوار سوق إمبابة تمتد حلقتها الواسعة حتى الفجر ؛ إذ تشمل أمشاجاً من الجمعية الشرعية باللحى الطويلة والعذبة. ومديرى عموم. ووكلاء وزراء. وطلبة. وإدريس الأسود الغطيس الذى كان يعمل بالزمالك عند الأميرة "عين الحياة على إبراهيم" وكانت من الأسرة المالكة. وكان باسم الثغر. تستمتع حينما تراه يقرأ فى الجلسة. وكان الشيخ يقرأ شيئاً من القرآن تجعل الجالسين كأنهم على أجنحة الملائكة يستمعون. وحينما كان اللوح "الواجب" الذى

سأسمعه فى الخميس القادم "آية الدين" .. وهى أطول آية فى كتاب الله. ظللت أحفظ فيها طوال الأسبوع أبدأ فى أولها فأنسى آخرها. وأذكر آخرها فأنسى أولها.. حتى جاء يوم الأربعاء. وفى الليل نمت وأنا لم أحفظها. إذا بالشيخ قاسم جاء لى فى الرؤية وتأبطنى. وقال لى : اقرأ. فقلت له : لم أحفظها. قال: اقرأ حاول، بس اقرأ ورائى. فقرأتها. فقمت من النوم حافظا لها.. فهى من أجود ما أحفظ من كتاب الله كله..

وحينما جلسنا فى الحلقة يوم الخميس بعد عشاء الخميس كان كل همى أن أقص عليه الرؤية .. فالتقت عينى بعينه. فبادرنى بقوله ألم تحفظها ؟! انتهى وأشار لى بالصمت. وسمعتها كأحسن مايكون..

وعندما التقينا بعد الجلسة. وقصصت عليه ما رأيت قال لى : إن أحد الإخوة. كان فى حالة سيئة بمنزله .. ورأيته واضحا أمامى. وخشيت أن أحدثه فيصرع ؛ إذ كان يستخدم الجن.

وقال لى : إنه خير بين أن يمشى فى الطريقة إلى أقصاها وينال أعلى الدرجات فيها. أو أن يسلك الطريق الآخر. وهو طلب العلم فسلك الطريق الآخر ونال شهادة البكالوريوس وعين فى الحكومة.. وكنت قد حفظت على يديه تسعة أجزاء قبل دخولى السجن سنة ١٩٥٤م. وأتممت الباقى داخل السجن..

الحرية أحد ثوابتنا

أ. د. عبد الحميد الغزالى

تعد "الحرية" أصلاً رئيسياً من أصول الإسلام كدين ونظام حياة شامل وكامل فى شتى مجالات الحياة والمجتمع البشرى - ليس فقط فى المجال السياسى - وإنما فى جميع المجالات بما فى ذلك المجال العقدى وعليه. كان مبدأ الشورى إطاراً حاكماً فى الحياة العامة للمجتمع. وكان اهتمام الفرد بكل مجتمعه من المعلوم من الدين بالضرورة ومن ثم. كان الاختلاف والتعددية فى جميع المجالات وعلى كل المستويات. ضماناً لإثراء الحياة البشرية وتحقيقاً لغاياتها. وفقاً للضوابط الشرعية والنصوص. والأدلة الاجتهادية فى هذا الباب كثيرة ومعلومة ومشهورة . وتأسيساً على ذلك. لايمكن الرجوع إلى خطأ القول وخطيئة الفهم.. بأنه لا دين فى السياسية ولا سياسة فى الدين.

فالمجال السياسى جزء لا يتجزأ من حياة أى مجتمع منذ أن خلق الله الأرض ومن عليها وإلى أن يرثها ومن عليها. والإسلام جاء لينظم حياة البشر بجميع جوانبها. تطبيقاً للشرع وإعمالاً للنقل. ومن ثم. يشكل اهتمام المسلم بالسياسة فكراً وسلوكاً وممارسة وتنظيماً.. عنصراً جوهرياً فى حياته.

فعقدياً. لا يمكن لمسلم ان يقول بفصل الدين عن السياسة. ومن ثم لا يمكن لمسلم يعلم بالضرورة حقيقة دينه العظيم أن يعمل على "حبس" إسلامه فى المسجد.

فالجانب السياسى من حياة المجتمع المسلم أصل من أصول الحياة الإسلامية وثابت من ثوابت فكر وسلوك الفرد والمجتمع المسلم. ومن ثم يشكل العمل فى هذا المجال مرتبة عليا فى سلم أولويات واهتمامات الفرد المسلم .. ﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ﴾ (البقرة) .

فنقول - إيماناً - "بشمولية الإسلام"وفقاً لإجماع فقهاء الأمة. كما نقول وبالدرجة نفسها. كجماعة بـ"شمولية الحركة" وعلى ذلك فشمولية الفكرة تستدعى شمولية الحركة وهذه ثوابت إسلامية.

وهنا لا حرج فى قيام جماعات أو جمعيات بجزء أو بجانب من هذا المنهاج.. حركياً .

والإخوان المسلمون يرحبون بالتعاون مع هذه

الجماعات والجمعيات لدعم الدعوة الإسلامية والعمل على تطبيق شرع الله.

والسياسة التى نبغيها . ونساهم عملاً فى تحقيقها هى السياسة الإسلامية . أو قل " إسلامية السياسة " أى السياسة المحملة بالقيم الإسلامية المنبثقة من القرآن والسنة وعمل السلف الصالح بعيداً عن الغش والخداع والخيانة وكل الممارسات الخاطئة غير السوية فى هذا المجال.

ومن الحقائق الحاكمة لفكر وحركة جماعة الإخوان المسلمين . إن هذه الجماعة لم تدع فى يوم من الأيام منذ نشأتها وحتى الآن .. فإنها تحتكر "الحقيقة الإسلامية" وأكدت - مراراً وتكراراً - على لسان قادتها : "إنها جماعة من المسلمين وليست جماعة المسلمين والإخوان المسلمون . وهم يؤكدون على هذه الحقيقة يشددون فى الوقت نفسه على طبيعة دعوتهم وطبيعة مشاركتهم الفاعلة فى العمل العام (الاتحادات الطلابية - النقابات - المحليات - الانتخابات البرلمانية - الجمعيات الأهلية) ... واهتمامهم الأصيل بالشأن العام.. بأنها دعوة بالحكمة والموعظة الحسنة. فهى جماعة فى ممارستها للعمل السياسى تنبذ، عن عقيدة،

أسلوب الإرهاب وترفض عن مبدأ ممارسته . وتشجب عن إيمان من يتعاطاه . لأنه يشكل حقيقة تعطيلاً خطيراً لمسيرة الأمة . ويمثل خطراً داهماً أمام تحقيق غاياتها المنشودة والمشروعة . ويعد فى النهاية تبديداً سفيهاً لمواردها وإمكاناتها البشرية والمادية.

وهنا يتعين عدم الخلط بين الأنشطة الجهادية فى الأربعينيات والخمسينيات التى قام بها الإخوان . وما يرتبط بهذه الأنشطة المشروعة والمؤيدة من قبل السلطات الحاكمة فى تلك الفترة.. من تنظيمات . وبين ما عانته مصرنا الحبيبة فى أوائل التسعينيات من أعمال غير مسئولة . شجبتها الجماعة بحق وبشدة فى حينه.

وفى النهاية . الإخوان المسلمون جزء أصيل من هذا الوطن الحبيب . لهم ما لبقية المواطنين من حقوق . وعليهم ما عليهم من واجبات . وعلى رأس هذه الحقوق المشاركة فى العمل العام . والمساهمة فى حياة نيابية نظيفة . بانضباط شرعى . ومسئولية وطنية . وغايتهم معلنة . ووسائلهم مشروعة يحترمون النظام العام . ويعملون لتحقيق غايتهم فى إطار هذا النظام . ووفقاً لقنواته وآلياته . يرفضون الصدام والإرهاب . تماماً كما يرفضون الإقصاء وتجفيف المنابع وخلق أبواب العمل والرزق فى وجوه أبنائهم . ويعملون عن ايمان واقتناع على التعاون مع الجميع وفقاً للمصالح العليا للوطن وللأمة ووفقاً لثوابت الجماعة

يوميات إسلامية

إعداد : على عبيد

الطيراوى

● فى مقابلة لها مع وكالة رويترز حذرت ناتاليا إستيمروفا، الصحافية والناشطة الحقوقية البارزة من العاصمة الشيشانية جروزنى العالم الغربى من مغبة تجاهل معاناة الشعب الشيشانى، الذى يئن تحت وطأة الاحتلال الروسى الغاشم، مؤكدة أن شعبها لازال يعانى من عمليات قتل وتعذيب واختفاء، على الرغم من الانتهاء الرسمى لحرب الشيشان منذ عشر سنوات .

● فى خطوة تهدف من ورائها وزارة الدفاع الأمريكية إلى تعزيز قدرات سلاح الجو الإسرائيلى بزعم مواجهة سباق إيران نحو القوة النووية ، وافق البنتاجون مؤخراً على بيع ٢٥ طائرة على الأقل من الجيل الخامس من طائرات الشبح ، وسيتم شحن هذه الطائرات فى عام ٢٠١٢ ، وهو نفس موعد بدء نقل الطائرات إلى سلاح الطيران الأمريكى .

باراك

● فى حوار له مع قناة العاشرة "الإسرائيلية توعّد "توفيق الطيراوى" رئيس جهاز المخابرات الفلسطينى، بتصعيد ملاحقة حركة المقاومة الإسلامية "حماس" ومجاهديها الذين يشنون عمليات ضد قوات الاحتلال الصهيونى فى الضفة الغربية،. وصرح قائلاً : "أعدكم بأن الأجهزة الأمنية لن تسمح بتكرار تجربة حماس فى قطاع غزة، وستستمر بملاحقتها"، ولن نسمح لحركة حماس بالاحتفاظ بسلاحها فى الضفة الغربية" .

طنطاوى

● فى سرية تامة وتكتم شديد استقبل د. سيد طنطاوى شيخ الأزهر السفير الأمريكى بالقاهرة "فرانسيس ريتشاردونى" ، وقد تم منع الصحفيين ووسائل الإعلام من الحصول على أى معلومات أو تفاصيل عن هذه الزيارة التى استغرقت أكثر من الساعة .. الجدير بالذكر أن هذه الزيارة جاءت بعد زيارة الملحق الثقافى الإيرانى مباشرة ، وافق خلالها شيخ الأزهر على طلبات الضيف الإيرانى من تبادل الكتب والمقررات الدينية بهدف التقارب وتعميق العلاقات .

دونى

● بعد تزايد عدد القتلى فى صفوف القوات الأمريكية خارج المعارك توجه فريق من الخبراء العسكريين الأمريكيين إلى العراق للتحقيق وصرح مدير العمليات فى رئاسة أركان الجيوش الأمريكية قائلاً : "لا نعرف بعد ما هى أسباب هذا الارتفاع فى الخسائر خارج نطاق القتال ... لذلك طلب القادة فى العراق من المركز الأمنى فى الجيش المجىء لتحليل هذا الوضع ودراسة وسائل حماية القوات على الأرض".. وبحسب تقارير وزارة الدفاع الأمريكية، فإن ٢٩ جنديًا قُتلوا فى أغسطس و٢٣ فى سبتمبر لأسباب لا تمت بصلة إلى المعارك .

● فى إحصاء رسمى دقيق أكد "جهاز تنظيم الاتصالات" أن الرسائل القصيرة المرسلة عبر المحمول بمناسبة عيد الفطر بلغت ١٠٤ر٥ مليون رسالة بتكلفة ٣١ر٧ مليون جنيه .

أباظة

● بعد صدور قرارى وزير الزراعة أمين أباظة رقمى ٦٣٠، ٨٦٤ لعام ٢٠٠٧ واللذين سمحا بعودة استخدام ٣٠ مبيداً مسرطناً فى مصر ، تجرى الآن تحقيقات موسعة بشأنها .. فقد استدعت هيئة الرقابة الإدارية بعض المسئولين بوزارة الزراعة للتحقيق ، وتشمل التحقيقات ثلاثة ملفات .. الأول محاولة إدخال مبيد الكونسلت المسرطن إلى مصر بأوراق مزورة ، والثانى السماح باستيراد ٨٠٠ طن من مبيد البروفينفوس المسرطن تم استخدام نصفها هذا العام، والملف الثالث خاص باستخدام مبيد المانكوزيب رغم وجوده فى قائمة المبيدات المسرطنة فى قوائم هيئة حماية البيئة الأمريكية .

بوش

• طالب الرئيس الأمريكي مؤخراً بتحديد ٣, ١٨٩ مليار دولار لتمويل العمليات العسكرية في العراق وأفغانستان وعمليات عسكرية أخرى مصنفة في عام ٢٠٠٨ ، ووفقاً لصحيفة "إندبندنت" البريطانية فإنه إذا وافق الكونجرس على هذا الطلب، فإن ذلك سوف يرفع التكلفة الإجمالية للحرب في العراق وأفغانستان والعمليات الأخرى إلى ٨٠٧ مليارات دولار منذ ٢٠٠١ ، فيما أفاد تقرير صادر عن مكتب الموازنة في الكونجرس بأن تكلفة الحرب قد تصل بحلول عام ٢٠١٧ إلى ٢٤٠٠ مليار دولار (١٧٠٠ مليار دولار نفقات الحروب بالإضافة إلى ٧٠٥ مليارات دولار فوائد عن قروض التعاقدات .

براون

• على هامش زيارته لقوات الاحتلال البريطانية ونقلاً عن وكالة رويترز أعلن وزير الدفاع البريطاني "جوردن براون"، أن لندن ستسلم محافظة البصرة للقوات الحكومية العراقية في غضون ستة أسابيع .. وبذلك تكون البصرة رابع محافظة يتسلم العراقيون مسئوليتها الأمنية في جنوب العراق" .

• تحت عنوان "العراق الحقيقي الذي نعرفه"، كتب ١٢ قائدا أمريكيًا سابقًا في صحيفة واشنطن بوست مقالاً قالوا فيه : إن اليوم يصادف الذكرى الخامسة لتخويل العمل بالقوة العسكرية في العراق .. وأضافوا : إن العراق بعيد كل البعد عن تحوله إلى بلد حديث ، لاسيما أن طرقه ومستشفياته ومدارسه وجسوره في حالة يرثى لها .. واختتموا قائلين : إن أفضل خيار هو المغادرة الفورية للعراق، لأن الانسحاب المرحلي لن يمنع الحرب الأهلية وسيتسبب في مزيد من سفك الدماء، من أجل قضية خاسرة.

عز

• تواترت الأنباء مؤخراً حول الاقتراب عن إعلان زواج المهندس أحمد عز "أمين التنظيم في الحزب الوطني" وسيدة الأعمال "شاهيناز النجار" نائبة البرلمان عن دائرة المنيل ومصر القديمة .. ويتردد أن مهر "شهيناز" الذي سيقدمه لها عز بمبلغ ٢٥ مليون جنيه ، والشبكة عبارة عن خاتم من الماس قيمته مليون جنيه ، والمؤخر مفاجأة !!

مع الباعة والمكتبات ودور النشر

خصم ٢٠٪ لقراء المختار الإسلامى وللجملة سعر خاص

اسم الكتاب	اسم المؤلف	السعر
متى نصر الله ؟ ؟	مهندس صالح الحديدى	١٥,٠٠
آيات الرحمن فى خلق جلد الإنسان	د. محمد زكريا	٦,٠٠
سيد قطب بين معارضيه ومؤيديه	أحمد عبد المجيد	١٥,٠٠
عقيدة الشهيد المفترى عليها	ولاء حامد	٥,٠٠
ماذا تعرف عن الإخوان	ولاء حامد	٤,٠٠
محاولة فاشلة لتنصير طالب أزهرى	د. عبد الودود شلبى	٥,٠٠
القابضون على الجمر	محمد أنور رياض	١٢,٠٠
حزب الله	د. محمد مورو	٥,٠٠
مختصر السيرة النبوية	د. صلاح عدس	٤,٠٠
قصص القرآن للأطفال (١٥ جزء)	عماد الدين شرف	٤٥,٠٠
قصص الحيوان المصورة بالألوان	عاطف سعودي	٤,٠٠
علامات الساعة الصغرى والكبرى	ليلى مبروك	١٠,٠٠
الإسلام بين جهل ابنائه وعجز علمائه	عبد القادر عودة	٣,٠٠
المال والحكم فى الإسلام	عبد القادر عودة	٥,٠٠
الإسلام وأوضاعنا السياسية	عبد القادر عودة	١٠,٠٠
الإسلام وأوضاعنا القانونية	عبد القادر عودة	٥,٠٠
البابا الذى لا يعرف شيئا	د. عبد الودود شلبى	٦,٠٠
الإخوان المسلمون	د. محمد عباس	تحت الطبع
العصا الغليظة	د. حلمى القاعود	تحت الطبع
الإخوان وعبد الناصر	أحمد عبد المجيد	تحت الطبع

ومقرنا : ٣ حارة الجمل - السيدة زينب - تليفون وفاكس ٢٣٩٢٢١٥١

آخر الكلام

موال

نار بجوف الحشا فى دمعتى سائلة
تنشالُ من مقلتى مذهولة سائلة :
هل فى الدنا دولة .. رغم الغنى سائلة ؟!
جاوبتها : دولتى، مادام فيها مال
يستفه حاكمُ عن كل خير مال
آلامنا أنبتت فى يأسه الآمال
لكنما وحلنا أمسى به أوحل
يبيع أو يشترى فينا .. مضى أو حل
وهو الذى لم يكن ربط له أو حل .
فالمالُ فى أمسه قد كان رهنَ الهوى
ثم استوى مسنداً للحكم لما هوى
وغارق مثلهُ .. فى سوق شم الهوا
حتى دمانا لديه عُملة سائلة !

أحمد مطر

المختار الإسلامى
مجلة كل المسلمين
تصدر عن
جمعية المختار الإسلامى
المسجلة بوزارة الشئون الاجتماعية
٣ حارة الجمل
متفرع من ميدان السيدة زينب
أسسها حسين عاشور
(١٣٩٩هـ - ١٩٧٩)
تصدر غرة كل شهر عربى
رقم الإيداع ٦٠٧٠ / ١٩٧٩
المشرف العام
حسين عاشور
رئيس التحرير
د . محمد مورو
سكرتير التحرير
حنان حسين عاشور
الإشراف الفنى
على عبيد
الإدارة والتحرير
٣ حارة الجمل
متفرع من ميدان السيدة زينب
تليفون : ٢٣٩٢٢١٥١
فاكس : ٢٣٩٢٢١٥١
الاشتراك السنوى :
داخل مصر ٥٠ جنيها
خارج مصر ٥٠ دولارا أمريكيا
المراسلات والحوالات والشيكات باسم
حسين أحمد عيسى عاشور
بريد إليكترونى
alim_ebeid@yahoo.com
mokh_51@yahoo.com